مدخل إلى
تاريخ الحضارة العربية الاسلامية

اعداد

الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات

ابراهيم ياسين الخطيب

الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع

عمان - الأردن

مدخل إلى
تاريخ الحضارة العربية الإسلامية

* حكمت عبد الكريم فريحات، ابراهيم ياسين: **مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية.**

* **الطبعة الأولى ١٩٨٩.**

* **الناشر. دار الشروق للنشر والتوزيع**
ص. ب ٩٢٦٤٦٣
هاتف ٦٢٤٣٢١
تلكس ٢٣٥٥٧ يونيتور
عمان - الأردن.

* التوزيع: **المركز العربي لتوزيع المطبوعات ش. م. م.**
ص. ب ١٣/٥٦٨٧
تلفون ٨٠٣٥٣٧
تلكس ٢٠٩٨٣ آسيب
بيروت - لبنان.

٠ ع ٩
حكم
حكمت عبد الكريم فريحات.
مدخل إلى تاريخ الحضارة الإسلامية/ حكمت عبد الكريم فريحات، ابراهيم ياسين الخطيب. - عمان دار الشروق، ١٩٨٩.
١٧٦ ص.
ر. أ ١٩٨٩/٢/٨٨.
١ - العالم العربي - تاريخ. أ - ابراهيم ياسين الخطيب، مؤلف مشارك. ب - العنوان.

(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

وبعد :

فقد طلب إلي أن أقدم لهذا الكتاب وكان لزاماً عليّ أن استجيب، لا سيما، والموضوع، موضوع الحديث عن الحضارة العربية الاسلامية؛ والعروبة والإسلام صنوان لا يفترقان بمفاهيمهما، وقيمهما السامية الرفيعة. والإسلام، نزل دستوره ـ القرآن المجيد ـ بلغة العرب، تكريماً لهم في تحميلهم مسؤولية نشر الوعي الروحي، والمُثُل الانسانية القيّمة، وتلك لعمري مسؤولية هامة، تحملها علماء العرب والمسلمين الأوائل، وما أكثرهم، تفاخر بمخلفاتهم العلمية ومؤلفاتهم، المكتبات العلمية في شتى أنحاء العالم، بحيث نجد حتى الموتورين والحاقدين على الإسلام والعروبة تستيقظ ضمائرهم أحياناً، فلا يتنكرون لضرورة اقتناء مخلفات العرب، ومجلداتهم العلمية في مكتباتهم: مراجع علمية، وموسوعات لتطور الحضارة العالمية؛ والحضارة العربية الإسلامية جزء لا يتجزأ منها في إطار حضارة تطورت وازدهرت شارك العرب فيها بجدارة.

ومالي والاسترسال الطويل، فأعود إلى عنوان الكتاب الجديد «مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية». فالحضارة كما يرى

الكثيرون في المعسكرين الشرقي والغربي، ومن منظور مادي، أنها المقومات والمظاهر في عمران شامخ، وبنيان متين، وفن عمارة دقيق، وفي سدود مائية، وفي طب ناجح، وفي تجارة فالحة، وصناعة ناجحة، ويسترسل بعضهم بأنها حتى في أنواع الطعام والشراب واللباس، إلى غير ذلك مما يباهون به ويفاخرون، فيضطرونا إلى أن نباهي ونفاخر مثلهم، بأن هذا الذي أشاروا إليه كان وأكثر منه لدى العرب قبل ظهور الاسلام المجيد، بحيث يصح القول بأن اليمن السعيد كانت السّباقة في معظم ما قد يركز عليه من المظاهر الحضارية: فسبأ ومعين، والتبعيون والحميريون، ووادي الجوف وسد مأرب، وقصر غمدان في صنعاء وغيرها، تدل على أن العرب في جنوب شبه جزيرتهم كانوا الأسبق إلى الحضارة؛ عناية فائقة بالسدود والرّي وبالتالي بالزراعة، ومثلها العناية الفائقة بالتعمير والعمران الذي يندهش المهندسون من صموده الطويل أمام الطوارىء الطبيعية. وما «البتراء» إلا دليلاً آخر على تقدم الفن المعماري العربي، بحيث أنها أصبحت محجة عالمية لا بد من زيارتها، والسعيد من قد أسعفه الحظ فزارها من أمريكا وأوروبا وأفريقيا وأستراليا وآسيا.

ولا بأس من أن نلخص ما قد ذكرنا بهذه القصة التالية رديفة لحجتنا المقنعة، ورادعاً للمنكرين دور العرب المسلمين وسبقهم إلى ما يقال عنه حضارة: فقد كنت ورفيقي السيد قيس الشربتي في طريقنا إلى «دترويت» الأمريكية، مغادرين في القطار من واشنطن في مساء أحد أيام سنة ١٩٦٦ م، وعلى مائدة العشاء التقينا بشيخ ولاية «مشجن». وكان على المائدة سيدة أمريكية معلمة، وقد دار بيننا حديث طويل، بدأه السيد الأمريكي بنكرانه على العرب أي دور من أدوار المساهمة في الحضارة العالميـة وأن اليهـود في الأقطار العربية كلها هم المزارعون، وهم الصناعيون، وهم الذين أقاموا العمران الزاهر، وأنهم، وأنهم! متناسياً في بداية حديثه الأمور التالية:

أ ـ أن اليهود لم يكونوا عبر التاريخ مزارعين، بل كانوا صيارفة وماليين، وأن عرب فلسطين هم السباقون في مجالات النشاط الزراعي.

ب ـ وأن عرب فلسطين في شعفاط، وشارع الملوك في حيفا، وفي أبنية وادي حنين، وفي كل قرية ومدينة أكثر تركيزاً وإبداعاً في العمران من اليهود.

جـ ـ واستطراداً فقد قلت للسياسي الأمريكي أن اللاجئين والنازحين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ حوّلوا الرمال والبوادي إلى جنان غنّاء، واستنبتوا الأرض الطيبة بفكرهم وجهودهم.

وهكذا استمر حديثنا حوالي الأربع ساعات، انتهت «حضارياً» بالاعتراف للعرب بالسبق الحضاري، وهو يسمع عن قصر الحمراء في غرناطة، وعن جامع قرطبة.

وأما السيدة الأمريكية التي ردت عليّ إذ شكرتها على حسن مجاملتها واستضافتها لنا، بقولها: أتشكرني وأنت من أحفاد وسلائل من بنوا قصر الحمراء!؟.

ليس هذا فحسب، بل إن العرب أجادوا وبرعوا في مختلف جوانب الحضارة، فكان لهم حتى في تناول الطعام عادات حميدة، لخصها شاعرهم الشنفري بقوله:

وإن مُدَّت الأيدي إلى الزاد لم أكن
بأجشعهم إذ أجشع القوم اعجل.

وحضارة العرب والمسلمين حضارة جذورها عميقة، في شتى عهود الساميين، وهي في الكتابة والأرقام الحسابية، وفي النقوش على الحجارة، وزخارف الفخاريات، وفي الأواني النحاسية؛ وهي في عظمة فن عمارة المسجد الأقصى: بأعمدته ومحرابه، ونقوشه، وكتاباته، وهي في دور العلم والمكتبات، والأسواق الأدبية والمنتديات، وهي في تلك الثروة الهائلة من الاختراعات والاكتشافات في مختلف مجالات العلم والمعرفة... ورغم الجريمة النكراء التي ارتكبها الغزاة «التاتار» في تمزيق ذخائر العرب وكتبهم الموجودة في مكتبة بغداد، وإلقائها في نهر دجلة الذي اسودت مياهه، واصطبغت بحبر الكتب الملقاة فيه ـ سيبقى العالم

يذكر جيلاً بعد جيل مشاهير العرب والمسلمين من العلماء: الاجتماعيين، والأطباء، والفلاسفة، والمهندسين والصيدلانيين، والأدباء والمؤرخين والجغرافيين، وغيرهم، فمن من العرب والأجانب لا يعرف ابن سينا، وابن رشد، والفارابي، وابن طفيل، والبيروني، وابن خلدون، والخوارزمي، والأصطخري، والمسعودي، والإدريسي، وياقوت الحموي، والكندي، والرازي، وابن الهيثم، وغيرهم من العلماء المسلمين الأماجد؟

والخلاصة، هي أن الحضارة بأزهى صورها، وأجمل معانيها، وقيمها، قد عرفها العرب قبل غيرهم، ومع غيرهم من السبّاقين، وها هم العرب في هذه الأيام يسهمون ما استطاعوا في ميادين الحضارة، متفهمين معانيها ومظاهرها، بأنها لخير الوطن، وصالح الانسانية جمعاء، والعبرة فيها ليست للمظاهر الزائفة الخالية من القيم الرفيعة، بل العبرة لما تخفي الصدور والضمائر، وما أجمل أن يكون ما تبرزه المظاهر معبراً عن نقاء وصفاء الضمائر، نريدها مثلما نريد حضارة عالمية، مستمدة من التعاليم السماوية التي انطلقت من أرض النور والبركة والهدى؛ أرضنا العربية الاسلامية، بإرادة الله تعالى وقدرته، ولله الحمد أولاً وآخراً، وتحية عاطرة للدكتور حكمت حفظه الله.

الأستاذ ضيف الله الحمود

مقدمة

هذا الكتاب يتناول جوانب الحضارة العربية ـ الاسلامية في شتى مجالاتها، منذ حياة العرب في الجاهلية حتى نهاية الخلافة العباسية. وهذا الموضوع طرقه الكثيرون من الكتّاب والمؤلفين؛ العرب منهم والمستشرقون، ولهذا فإنه لم يأت بجديد في هذا المضمار. وإنما كان القصد من وضعه ايجاد دراسة مجملة وحيوية وسهلة لتاريخ الحضارة العربية ـ الإسلامية حسب مفردات منهاج وزارة التعليم العالي لطلبة كليات المجتمع الأردنية، لاستعماله كمرجع موحد يوفر الظروف المناسبة لطلبة الكليات للإعداد والتحضير للامتحان العام لكليات المجتمع، وتوفير عناء البحث، واقتناء الكتب المتعددة للاطلاع على مفردات المنهاج، وهو بالإضافة لهذا القصد الأول يجد فيه الباحث عن الثقافة العامة في موضوع الحضارة العربية الإسلامية ضالته، فيقدم له معلومات عامة شاملة ومختصرة عن جوانب الحضارة الإسلامية المتنوعة.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن العرب في حياتهم قبل الإسلام لم يكونوا معزولين تماماً عن ميادين الحضارة والثقافة، إلى حد نعتهم بالتخلف والتحجر، بل كان لهم مبادىء في مختلف مجالات العلم، فكان لهم آراء في الفلك والنجوم، وكان لهم دراية في الطب، وبرعوا في الأدب والشعر، وكان لهم باع في الحكمة، وكانت لديهم دراية في أسس الحكم والسياسة، ولكن إلى جانب ذلك كانت لديهم بعض العادات والتقاليد السيئة التي جعلت المؤرخين يصدرون الأحكام الجائرة والقاسية في حق العرب؛ منها: كثرة الحروب والتناحر، والعصبية، ووأد البنات. وهي إذا ما

قارناها مع عادات وعقائد العالم الغربي المتمدن اليوم، لوجدناها أقل قسوة وعنفاً عما هي عليه عند العالم المتحضر المعاصر، فأين تعصب العربي لقبيلته من التعصب والشوفونية الأوروبية الحالية، ومن التمييز العنصري في أفريقيا وأمريكا اللاتينية، وأين حروب العرب وأيامهم من هذه الحروب المدمرة المستمرة التي ما فتىء العالم المتمدن يذكي نيرانها في مختلف بقاع المعمورة: في فلسطين، وأفغانستان، وفيتنام، وكمبوديا، وأيريتريا، وقبرص، وجنوب أفريقيا، وغيرها من مناطق العالم مما كان وما هو كائن!

لقد أكرم رب العالمين العرب بأن اصطفى منهم محمداً (صلعم) وكلفه بحمل الرسالة السماوية، وتبليغها إلى الناس كافة. فكان دين الإسلام الحنيف القائم على «التوحيد» دعوة دينية صحيحة، ودعوة سياسية أقامت دولة عظيمة، ودعوة اجتماعية وثقافية واقتصادية وفكرية. وكان للأفكار الإنسانية السامية التي جاء بها هذا الدين دور رئيسي في انتشاره في مختلف الأصقاع، وأقام دولة مهابة، حمل العرب في الحجاز أعباء تأسيسها ثم حمل أعباءها عرب شبه الجزيرة العربية قاطبة، حيث عملوا على تحرير جميع الأراضي العربية خارج شبه جزيرة العرب، ثم تجاوزوا تلك الحدود وأقاموا دولة الإسلام العظيمة في مساحة شاسعة من المعمورة. فكان من نتائج ذلك أن تمازج العرب في فكرهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية مع شعوب وأمم غير عربية ـ اعتنقت الإسلام وأخلصت له، وهذا مما يساعدنا على إدراك هذا النمو السريع للحضارة الإسلامية، التي من أهم خصائصها «الأصالة» في ينابيعها من القرآن والسّنة، وتراث العرب الأقدمين، والتفاعل مع غيرها من حضارات الأمم السابقة التي تقدمتها، فتمثلت كل ما عندها ثم ترجمت ما ورثت، ثم أثرته وأغنته وعرّبته... فتمكنت من استلام دفة قيادة حركة الحضارة العالمية مدة قرون طويلة؛ منذ ظهور الإسلام حتى نشوء النهضة الأوروبية الحديثة التي يعترف أصحابها بأنها مدينة للحضارة العربية ـ الإسلامية، بما أخذت منها، ونقلت عنها، ونهلت من مناهلها.

وانطلاقاً من مبدأ الحياة المتمثل في «الأخذ والعطاء» فإن

الحضارة الإسلامية تمثل حلقة مهمة في سلسلة الحضارة الإنسانية متصلة الحلقات، فترتبط كل حلقة بالحلقة السابقة لها، واللاحقة بها، وهكذا أخذت الحضارة العربية الإسلامية عن حضارات الأمم السابقة لها، وتمثلت ما أخذته، وعملت على تطويره، وصبغته بالصبغة العربية الإسلامية، فأنتجت من ذلك حضارة متميزة، وأعطت ما عندها للحضارة الأوروبية الحديثة التي لولا اعتمادها على حضارة العرب ـ المسلمين لتأخرت في الظهور قرون عديدة.

إن الشعوب العربية والإسلامية التي قدمت للعالم هذا التراث الحضاري العظيم لا يمكن أن تختفي... والحفاظ على عقيدتها، والحفاظ على لغتها منحها القوة، وزّودها بعنصري البقاء والخلود. ذلك أن دين الإسلام في عالميته، وتجديده، وخلوده سيبقى يحمل الشعلة ينير بها للضالين في متاهات الحياة.. وهو بعالميته وتجدده وخلوده ينتظر دوره لقيادة الحضارة الإنسانية من جديد.. ذلك أن هذه القيادية الحضارية الإسلامية هي حركة استئناف، وليست حركة ابتداء، فهو لا يضع أقدامه، للمرة الأولى على طريق الحضارة، وإنما يتابع رحلته الطويلة السابقة، التي تعطيه أبعاده الفكرية الأصيلة.

المؤلفان

الفصل الأول

- **الحضارة**
- **العروبة**
- **الاسلام**
- **التراث**
- **الأصالة**

الحضارة

الحضارة في اللغة البداوة لأنها تدل على سكن الحضر أو اجتماع الناس للتعاون على أسباب المعيشة ودفع المضرات، وقد ذكر لسان العرب أن «الحضر بخلاف البدو» وأن الحضارة الإقامة في الحضر، فاصل المعنى هو الاستقرار، والاستقرار الذي ينشأ عن زراعة الأرض هو السبيل الذي تنفسح فيه لأبناء المجتمع مجالات التطور في فنون اكتساب العيش، وبناء المدن، وتحليل المعرفة[١].

وفي الاصطلاح الحديث تطلق كلمة الحضارة على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب حياته عقلاً وخلقاً وروحاً وديناً ومادة[٢]، فهي كل ما أنجزه الإنسان على اختلاف العصور وتقلب الأزمان.

والحضارة عند ابن خلدون هي طور طبيعي أو جيل من أجيال طبيعية في حياة المجتمعات المختلفة، وهكذا البداوة، ولكن البداوة أقدم، والبدو أصل للحضر، والحضارة غاية البداوة[٣]. ذلك أن نحلة البدو من المعاش تقتصر على الضرورة منه، فيكون حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في

---

(١) قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، ص ٣٠.
(٢) نورالدين حاطوم، تاريخ الحضارة، ص ٦.
(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٢٢.

حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والدفء بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويحصل بلقمة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك، فإذا أتيح لهم أن يتطوروا إلى أحوال جديدة، تكونت أجيال الحضر.

يقول ابن خلدون «إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش، وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها، وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر، ثم تتزايد أحوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغتها في التأنق في علاج القوت. واستجادة المطابخ، وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالاة البيوت والصروح وأحكام وضعها، في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غايتها، فيتخذون القصور والمنازل، ويجرون فيها المياه، ويعالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان، ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع، ومنهم من ينتحل التجارة، وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضروري، ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد تبين أن أجيال البدو الحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه.

ولا بد من القول إن هذا الوصف عند ابن خلدون لا يحيط بمفهوم الحضارة احاطة تامة، لأنه يهمل ذكر المعارف والعلوم التي يخصها عالمنا. على أن العنصر الأساسي في الحضارة عند ابن خلدون هو إنشاء المدن وبناء البلدان، فجعل البداوة والحضارة طورين من أطوار المجتمعات البشرية، واعتبر الحضارة آخر هذه الأطوار.

وخلاصة القول إن كلمة حضارة تعني الاستقرار والاقامة الدائمة، وهي بهذا تشمل القرى والمدن. وبذلك فالحضارة مجموع المعارف العلمية والتشاريع والنظم والعادات والآداب التي تمثل الحالة

الفكرية والاقتصادية والخلقية والسياسية والفنية وسائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية في مرحلة من مراحل التاريخ، وفي بقعة من بقاع الأرض سواء شملت شعباً أو أكثر.

وبما أن كل مجتمع مهما كان بدائياً يصيب شيئاً من التطور ببذل الجهد والكفاح الدائم، فإن هذا اللفظ خرج من مدلوله الأصلي إلى مدلول عام شامل، فأصبحت كلمة الحضارة تطلق على كل انتاج مادي أو أدبي للإنسان سواء أكان انتاجاً راقياً أو بدائياً، ولهذا لا يمكن القول بأنه يوجد مجتمع دون حضارة، وكل حضارة من الحضارات هي نتيجة جهود سابقة بذلتها أجيال من البشر خلال عصور عديدة متطاولة، ولكل حضارة صورة ظاهرة هي نتاج الجهود الماضية، تجمعت في وقت من الأوقات، ولها كذلك صورة كامنة هي امكاناتها التي لم تتحقق بعد، واتجاهاتها وأهدافها، فقد تكون الحضارة في حالتها الحاضرة جميلة رائعة، ولكنها تؤدي باتجاهاتها وتوصل بدوافعها إلى الخراب والتقهقر، وتحمل في ثناياها بذوراً فاسدة لا تبدو في الحاضر نتائجها.

ما هي غاية الحضارة؟

إن غاية الحضارة الارتفاع بالحياة الانسانية، والحياة الإنسانية معقدة، كثيرة الجوانب، وفيها حياة فكرية عقلية، وحياة مادية عملية معاشية، وحياة نفسية، وحياة اجتماعية إلى جانب الحياة الفردية.

والحضارة الصالحة الخيرة هي التي تفسح المجال لنمو العقل وتفتحه، فتزيده علماً ومعرفة نافعة، وهي التي تزيد من قدرة الإنسان على السيطرة على الطبيعة يستثمرها لنفعه بعد أن يتحرر من سلطانها، فترفع مستوى حياته، وتحقق له الكثير من رغباته، وتزيد من سعادته. وتسهل أمر معاشه، وتمكنه من سيطرته على نفسه، وعلى غرائزه وأهوائه، فتنمي فيه الإيثار والبذل، وتجعل هدف الإنسان الخير لنفسه، ولغيره، لا لتحقيق اللذة، والاستئثار والوصول إلى المراتب.

والحضارة الصالحة تزيد من تماسك أفراد المجتمع وارتباطهم

وتضامنهم وتكافلهم، سواء من الوجهة المادية أم من الوجهة النفسية والعاطفية، وذلك بتحقيق المساواة في الفرص، والعدل في توزيع الحقوق المادية والمعنوية، والرحمة في نيل الضعفاء من حق ما لا ينالونه بقوتهم وجهدهم، كما أن الحضارة الصالحة تحقق النبوغ الفكري، والمعيشة الرخية، والسمو النفسي.

الحضارة المدنية والثقافة

المدنية مشتقة من المدينة، وهي مجمع بيوت يزيد عددها على عدد بيوت القرية، ومدَّن المدينة بناها ومصرها، وتمدن تخلق بأخلاق أهل المدن، وتنعم ورفه عيشه. والمدينة تدل على مرتبة سامية، وتطور راق، ففي المدن تتجمع ظواهر وخصائص وكفاءات قل أن توجد في حياة الحضر، وفيها تبدو مظاهر التقدم العلمي والفني والفكري والأدبي والتقني والآلي وغيرها[1].

وكلمة المدنيّة مرادفة للحضارة، وهي مستمدة من Civilisation وقد استعمل الفلاسفة العرب لفظة مدني بمعنى اجتماعي واستعمل ابن خلدون صيغة «التمدن» بمعنى الحضارة أو التحضر، ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها، وهكذا فإن المعنى الأصلي الذي تنطوي عليه لفظتا الحضارة والمدنيّة إنما هو سكنى الحواضر أو المدن، وما ينشأ عن هذه السكنى أو يصحبها من فنون الحياة ومظاهرها.

أما الثقافة فهي مصدر الفعْل الثلاثي ثَقِفَ، وتعني الحذق والفطنة والنشاط والخفة، وكلمة الثقافة في اللاتينية تعني الزراعة بالمعنى العام، والدرس والتحصيل، والتحصيل العلمي بالمعنى الخاص. وهذا المعنى قريب من المعنى العربي في الاستعمال الدارج الدال على المعرفة والتعلم، كأن نقول إنسان مثقف، ونشر الثقافة، ووزارة الثقافة وما إلى ذلك، ولكن كلمة الثقافة اتسع معناها، وأخذ يتناول نظام الحياة الذي يعيش بموجبه شعب من الشعوب ويفكر، أي أنه يشمل العادات والمفاهيم

---

(١) نور الدين حاطوم، تاريخ الحضارة، ص ٦.

والعقائد وقواعد السلوك والنظم والمؤسسات. وكثيراً ما نستعمل الحضارة للدلالة على الثقافة.

والثقافة هو ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن، والأخلاق والعادات، وأية قدرات وعادات ومهارات يكتسبها الفرد كعنصر في المجتمع، وبعبارة أبسط، فالثقافة هي كل شيء يتعلمه أفراد المجتمع ويشاركون فيه، إنها كل التراث الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد من مجتمعه.

وهذا التراث الاجتماعي يمكن أن ينقسم إلى ثقافة مادية وثقافة غير مادية، ويشمل الجانب غير المادي لغة القوم وأمثالهم وما يحكمون من حكم؛ آراؤهم وتقاليدهم، ومعتقداتهم التي يحملونها في عقولهم، وعاداتهم السلوكية التي يتبعونها. أما الجانب المادي فيشمل كل ما صنعته يد الإنسان من أدوات وأثاث، وسيارات وأبنية، ونظم عمارة وقنوات ومزارع وطرق وجسور... وفي الحقيقة يشمل كل مادة غيَّرها الإنسان واستعملها.

والثقافة هي السمة الأساسية التي تميز المجتمع الإنساني عن سواه، ذلك أن الإنسان هو الذي يملك الثقافة.

وكثيراً ما يختلط لفظ الحضارة في معناه بكلمة الثقافة، ولكن إذا تأملنا بالأصل اللغوي لكلمة الثقافة لوجدنا أنها تدل على التطور العقلي عن طريق التدريب والتعليم، وهي تقابل لفظ Culture.

كذلك يختلط اللفظان في معناهما بكلمة المدنية، وإن كان اختلاط المدنية بكلمة الحضارة أعم من اختلاطها بالثقافة، إلا أن المدنية أصلاً تدل على سكنى المدن، وقد تطور معناها حتى أصبح يدل على أقصى ما يصل إليه مجتمع ما في ميدان حضارته أثناء عصر من العصور.

وتميل كتب اللغة إلى ترتيب مراحل التطور الاجتماعي إلى البداوة ثم الحضارة وأخيراً المدنية على اعتبار أن البداوة تقوم على حياة الحيوان من صيد ورعي ودأبها التنقل وعدم الاستقرار. والحضارة تدل على سكنى الحضر والانتظام في مجتمعات تتعاون، أما المدنية فتدل على سكنى المدن والانتظام في مجتمعات أكثر تعقيداً ورقياً.

وهكذا فالحضارة تمثل كل مظهر من مظاهر الانتاج البشري أو غالباً ما يحددها سلوك الإنسان وطريقة معيشته وتفاعله مع البيئة، ولما كان من الطبيعي أن تختلف كل حضارة في مظاهرها عن الحضارات الأخرى، فلكل حضارة من الحضارات قديمها وحديثها مظاهر مميزة، وهذا، يميز الناس من حضارة إلى أخرى، ذلك أن الحضارة تتعلق بالنظم الاجتماعية والسياسية والفكرية والفنية، فهي تضم جميع نواحي الحياة من معالم البداوة إلى حياة القرية والمدينة، وتطور هذه الحياة ونموها وازدهارها بأحلى المظاهر، ولا شك أنه من العسير إبراز مميزات كل من تلك الحضارات، وخاصة القديمة بسبب قصور الدراسات المتعلقة ببعض مظاهرها، ومما يزيد المشكلة صعوبة أن بعض النقوش والمدونات لم يتمكن العلماء من تفسيرها تماماً حتى الآن[1].

نظرية توينبي

أعلن توينبي اخفاق النظريات العرقية في نشوء الحضارة بعد أن وقف على نتائج الدراسة الحضارية المقارنة التي قام بها، وتبين له من خلالها أن الحضارات قد شاركت في انتاجها أجناس مختلفة. وهو يرى بأنه لا يمكن الأخذ بنظرية البيئة الجغرافية، إذ لا يمكن أن تنشأ فيها حضارة مستقلة عن كل تأثير خارجي. ولذا انتهى في استقرائه إلى أن نشوء الحضارات يرجع إلى تفاعل عوامل مختلفة، وفي ذلك يقول «ليس السبب في نشوء الحضارات بسيطاً، ولكنه متعدد، وليس وحدة مستقلة ولكنه علاقة مشتركة.

لقد حاول توينبي أن يفسر عملية النشوء الحضاري على ضوء دراسة المجتمعات البشرية. والشكل الرئيسي لهذه النظرية هو «التحدي» «والاستجابة» أي رد الفعل على هذا التحدي. إن المجتمع يواجه خلال تطوره صعاباً تهدد كيانه ووجوده. ورد الفعل الذي يقوم به هذا المجتمع هو الذي يكفل له البقاء والاستمرار والازدهار بفضل القوة الداخلية

(١) محمد ابو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديمة، دار النهضة العربية، ص ٢.

والخارجية المستمدة من نجاحه. أما إذا لم يستطع المجتمع مواجهة هذا التحدي بنجاح، فإنه يفقد قيمته الأصلية أو هيبته الخارجية ورفاهه المادي، وربما آل به الأمر إلى الفناء والزوال. بيد أنه إذا واجه التحدي بنجاح وتغلب عليه، استطاع بهذا الحافز أن يزيد قوته الداخلية وقدرته الخلاقة، بحيث يؤدي ذلك إلى نشوء ما نطلق عليه اسم «الحضارة». ويستشهد توينبي لصحة نظريته، بالحضارتين المصرية والسومرية. فهو يعزو نشأة كل منهما إلى تغيير شروط المناخ في الأراضي العشبية في شمال أفريقيا وجنوب آسيا، الذي حول هذه الأراضي إلى صحاري قاحلة، يتعذر فيها على السكان البقاء في حالة الصيد. أما من تكيف منهم مع الجفاف فقد كونوا البدو الذين يقضون حياتهم في الصحراء بين الحل والترحال، وأما القبائل التي استجابت فقد نزحت نحو الجنوب سعياً وراء المراعي في المناطق الاستوائية، وحافظت على نمط معيشتها البدائية، وما زالت على هذه الحال إلى اليوم، وأما الجماعات التي قابلت التحدي برحيلها إلى وادي النيل واستقرارها في ربوعه فقد كافحت الشرائط الطبيعية الجديدة وتغلبت عليها وسخرتها لصالحها، وأنشأت الحضارة المصرية. وما يجري في وادي النيل جرى مثله في بلاد الرافدين: دجلة والفرات، حيث أنشأت الأقوام النازحة إليها الحضارة السومرية، ومن قبيل ذلك الحضارة الصينية التي لم تنشأ في الأصل في وادي يانغ تسي كيانج، بل نشأت في وادي النهر الأصفر بمستنقعاته وفيْضانه.

وهكذا يمكن أن يفسر أصل الحضارات بهذا التحدي الذي توجده الظروف عندما تجعل مَواطِن الشعوب التقليدية غير ملائمة للحياة، وتجبرها على بذل جهدها لتحويل وديان المستنقعات وغيرها إلى أراضي خصبة. ولكن توينبي يلاحظ أن للتحديات الطبيعية والبشرية مدى معيناً يجب ألا تتعداه لتكون الاستجابة المبدعة ممكنة، ذلك أن نمو الحضارة في نظر توينبي ليس مجرد عملية حيوية أو آلية بسيطة تجيء في أعقاب نشوء الحضارة، بعد أن ثبت أن عدة حضارات توقفت عند حد معين لم تتجاوزه، لأن التحدي المواجه كان على درجة من الشدة جعلت المجتمع يستنزف كامل طاقته في محاولة الرد عليه. أضف إلى ذلك أن رد الفعل

ولو نجح فإن القوى المنتجة المتخلفة، قد لا تكون كافية للمضي في النمو الحضاري، لأن نشاطه يكون قد شل قبل تكامل الحضارة. وهذه هي حال سكان المناطق القطبية والصحراوية كالأسكيمو والبدو الذين أصبحوا عاجزين عن اللحاق بأدنى المستويات الحضارية.

العروبة

تطلق العروبة على الأمة العربية، والمفهوم البسيط للأمة أنها جماعة بشرية متجانسة فكرياً ونفسياً وثقافياً، وتقطن بقعة جغرافية، ولأبنائها لغة واحدة، وتاريخ مشترك، وآمال لمستقبل مشترك، ودون أن تقوم فيها الوحدة العُنْصريَّة، يشعر أفرادها بالارتباط المعنوي فيما بينهم، ارتباط ولاء، ولا يشدهم للعيش معاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً في ظل سيادة وطنية واحدة، وفي حدودهم الطبيعية.

ويمكن أن ترادف كلمة العروبة الشعب العربي، وهناك تلازم بين الأمة العربية والدولة العربية الواحدة المستهدفة، بالرغم من حالة التجزئة التي نعيشها، ومن الواضح أن هذا الشكل من الكيانات العربية، يكون لرعاياها وطن خاص، وجنسية حقوقية خاصة، ولكن لمجموعهم وطن قومي عام يشمل كل تلك الأوطان المنفصلة بعضها عن بعض، ذلك أن المبدأ القومي يعمل على جمع الأقطار العربية في وطن واحد، بعد أن أصبحت الدول الصغيرة لا تستطيع مقاومة الدول الاستعمارية.

المدلول التاريخي لكلمة عرب

اختلف علماء اللغة في تفسير معنى لفظة عرب، ومصدر اشتقاقها، ويعتقد بعض الباحثين أنها مشتقة من أصل سامي قديم بمعنى الغرب، ويفسرون ذلك بأن سكان الرافدين إنما سموهم بهذا الاسم لأن العرب

كانوا يقيمون في البادية الواقعة إلى الغرب من بلادهم، والتي كانوا يطلقون عليها اسم عريبي.

وتعرض بعض الكتّاب العرب لدراسة أصل اللفظة، فذكر عبدالملك بن قريب الأصمعي، أن العربية منسوبة إلى «يعرب بن قحطان» أول من سجع في اللغة العربية الواسعة، ونطق بأفصحها وأبلغها وأوجزها، والعربية منسوبة إليه ومشتقة من اسمه، وفي يعرب هذا يقول الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري[1]:

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب
أبينا فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديماً ما لكم غير عجمة
كلام، وكنتم كالبهائم في القفر

وذكر آخرون أن لفظة عرب مشتقة من الفعل يعرب أي يفصح في الحديث، وأصبح يدل على العرب لفصاحتهم في اللسان، وقيل إن العرب سموا عرباً نسبة إلى بلدهم العربات. وذكر اسحق بن الفرج أن قريشاً أقامت بعربة (مكة) فتنخت بها، وانتشر العرب في جزيرتها، فنسبوا إلى عربة لأن أباهم اسماعيل نشأ بها، وفيها يقول الشاعر:

وعربة دار لا يحل حرامها
من الناس ألا اللوذعي الحلاحل.
[الحلاحل: السيد في عشيرته، الشجاع].

وإذا تتبعنا تاريخ هذه اللفظة ومدلولها في اللغات القديمة، وجدنا أن أقدم نص وردت فيه يرجع إلى سنة ٨٥٣ ق. م، إذ ورد في وثيقة آشورية للملك شالمنصر III أشار فيها إلى أحد زعماء الثوار الذين تغلب عليهم، واسمه (جنديبو العربي) الذي ناصر بير ايدري الدمشقي ضد شالمنصر الثالث في موقعة كركرا.

ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد أخذ لفظ عرب يرد بكثرة في الوثائق

(١) جماعة من الأساتذة، القومية العربية، ص ١٥٥.

الآشورية والبابلية في صيغ متعددة،منها عريبي Aribi، وعربي Urbi، وفي سنة ٥٣٠ ق. م. ظهرت لفظة عرباية Arbaya للمرة الأولى في النصوص الفارسية بمعنى البادية الفاصلة بين العراق والشام[١]. ثم وردت الكلمة في الأسفار القديمة من التوراة بمعنى البدو في حين كان السكان يسمون بأسماء قبائلهم، أو بأسماء المواضع التي ينزلون فيها. أما تعميمهم كلمة عرب على سكان شبه الجزيرة العربية، فقد جاء متأخراً على أثر احتكاك العبرانيين بالقبائل التي تقيم في البادية.

ثم أخذ اليونان يذكرون لفظة عرب في أواخر القرن الخامس ق. م، فقد ذكرها هيرودت، وأصبح هذا اللفظ مألوفاً بعد ذلك عند كتاب اليونان، ثم وردت في النقوش السبأية في القرن الأول ق.م.، ولكنها لم تطلق على قوم أو جنس، ولكنها جاءت بمعنى الاعراب.

ويبدو أن القرآن الكريم هو أول مصدر ورد فيه لفظ العرب للدلالة على معنى قومي يتعلق بالجنس العربي، ويشك البعض في صحة ورود كلمة «عرب» علماً لقومية العرب في الأخبار المدونة، وقد خلا الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا من وجود صيغة عرب للتعبير عن الجنس العربي، وذلك لاستغراق عرب الجاهلية في الحروب والمنازعات الداخلية.

وتدل الشواهد أن القرآن الكريم هو أقدم مصدر عربي وردت فيه صيغتا اعراب وعرب، فقد وردت فيه لفظة اعراب عشر مرات، كما وردت لفظة عربي إحدى عشر مرة؛ منها عشر مرات نعتاً للغة التي نزل بها القرآن بأنها لغة واضحة بينة، ثم استخدمت مرة واحدة لتنعت شخص الرسول في قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته، أعجمي وعربي...﴾. وكتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون..﴾.

ويبدو أن استعمال لفظة عرب في القرآن على هذا النحو قد هدت الشعراء إلى التعبير عنه فقال كعب بن مالك:

---

(١) أحمد عبد الحميد الشامي، تاريخ العرب والإسلام، ص ١٨.

بـدا لنـا فـاتـبـعـنـاه نـصـدقـه
وكـذبـوه فـكـنـا أسـعـد العـرب

وانتقد حسان بن ثابت بني هذيل عندما اشترطوا على النبي (صلعم) أن يُحِلَّ لهم الزنا لكي يدخلوا في الإسلام.

سـألت هـذيـل رسـول الله فـاحـشـة
ضـلت هـذيـل بـمـا قـالت ولم تـصـب
سـألوا رسـولهـم مـا ليس مـعـطيـهـم
حـتـى الـمـمـات وكـانـوا سـبَّـة العـرب

وقال قيس بن عاصم يهجو عمر بن الأهتم:

أن تـبـغـضـونـا فـإن الروم أصـلـكـم
والروم لا تـمـلك الـبـغـضـاء للعـرب

وقد قسم الرواة العرب إلى قسمين[1]:

أ ـ العرب البائدة: وهي الشعوب العربية التي بادت وزالت أخبارها، مثل عاد وطسم وجديس وجرهم الأولى.

ب ـ العرب الباقية، وينقسمون إلى فرعين

- العرب العاربة وهم الذين ينسبون إلى قحطان وموطنهم بلاد اليمن، ومن أشهر قبائلهم جرهم، ويعرب، ومن يعرب تشعبت القبائل والبطون من فرعين هما كهلان وحمير.
- العرب المستعربة وهم الذين ينتسبون إلى سلالة عدنان، وهم عرب الشمال من النجديين والحجازيين والأنباط والتدمريين.

(١) حسن ابرهيم، تاريخ الإسلام، ص ٨.

الاسلام

يعتبر الاسلام أهم الدعائم التي تقوم عليها حياة المجتمع، فهو الرباط المتين للأمة، ورسالة الإسلام هي التي أنشأت الأمة العربية وأعطتها الامتداد الذي نراه اليوم، وهي التي وحـدت كيانها على أساس العقيدة، وفوق ذلك فهي التي أكسبتهـا الطابع الثقافي الذي تتميّز به في اللغة والعادات وتقاليدها ونظامها الاجتماعي.

الإسلام هو الذي أوجد كيان الأمة العربية، فمن الصعب أن نتصور وجوداً حقيقياً للأمة العربية قبل ظهور الإسلام، إذ كان العرب قبل ذلك مجموعة من القبائل، فلما جاء الإسلام وحد كلمتهم وجمع شملهم في كيان واحد في ظل نظام شامل للحياة.

الإسلام أدى إلى حفظ اللغة العربية، فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، قال تعالى ﴿انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾[1]، وقد أدى ذلك إلى وحدة اللغة العربية، وعمل على حفظها بالصورة التي نراها اليوم. وقد اكتسبت اللغة العربية بفضل القرآن قدراً من المناعة استطاعت به أن تحافظ على وجودها حتى في أشد عصور الضعف والظلام التي مرت بالأمة العربية.

وبالاضافة إلى تكريم الله للأمة العربية بأن أنزل القرآن بلغتها، فقد

(١) سورة يوسف.

اختار رسوله الكريم من بينها، وهذا مما يضاعف مسؤولية الأمة العربية في العمل للإسلام.

الإسلام أكد وحدة العقيدة في المجتمع، فالمجتمع لا يقوم على أساس الاعتبارات المادية كالجنس أو اللون أو الأرض، وإنما تجمعه أساساً وحدة العقيدة والفكر. وقد أدى هذا إلى تماسك المجتمع العربي، وتضامنه، وساعد على ذلك روح الإخاء والمساواة التي تميز بها الإسلام، والتي كان لها أكبر الأثر في اندماج كافة العناصر غير العربية التي دخلت في الإسلام، فانتشرت بينها اللغة والعادات والتقاليد العربية، وأصبحت تمثل جزءاً أساسياً في كيان الأمة.

الإسلام أقام النهضة العلمية للأمة العربية، وقد حث الإسلام على اعمال العقل في الابداع والابتكار، وفتح أمامه آفاقاً جديدة للمعرفة ومجالات واسعة لنشاط الفكر. ودعا الإسلام إلى الملاحظة والتفكير والتدبر التي هي أساس البحث العلمي، فكان ثمرة ذلك ما أبدعه العرب والمسلمون في مجالات العلوم بمختلف ألوانها، وقد شجع الإسلام العلم فعبر القرآن عن هذه الحقيقة، بقوله تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾[1].

الإسلام سر صمود الأمة الإسلامية، أن الإسلام هو الذي مكن الأمة من المحافظة على كيانها على مر التاريخ، ويقول العقاد في هـذا «وصمود القوة الإسلامية في أحوال الضعف عجيب كانتصارها في أحوال الشدة، ولا سيما الصمود بعد أكثر من عشرة قرون».

الإسلام مصدر قوة وإلهام للأمة الإسلامية إذ ما زال الإسلام يمثل أعظم قوة للنهوض، فمبادىء الإسلام قوة بناء، وحركة دافعة إلى التطور والتقدم. ولا بد أن يتنبه المسلمون إلى ما يواجههم من مخاطر، وأن يدركوا أنه بقدر اقترابهم من الإسلام وحرصهم على عقيدتهم، ومقومات حضارتهم بقدر ما تتوفر لهم أسباب المنعة والنصر، ويتحقق لمجتمعهم الوحدة والتماسك.

---

(١) سورة الزمر، آية ٩.

التراث

التراث هو ما خلفته أجيال من العلماء من ألوف الكتب والرسائل والمؤلفات، وما يزال كثير منها تزدان به مكتبات العالم في الشرق والغرب على السواء، وما تحتوي هذه الكتب من آراء ونظريات علمية، ليس إلى حصرها من سبيل، وإنها لشاهد على أن العلماء العرب لم يكتفوا بنقل التراث العلمي الأغريقي إلى الغربية، ولكنهم أضافوا إليه وزادوا عليه، فضلاً عما تميزت به كتاباتهم من السهولة والوضوح والإحاطة والشمول، إلى جانب ابتكاراتهم العلمية الأصيلة التي نادوا بها، فلم ينقلوها عن غيرهم، ومع الأسف أن كثيراً من ابتكاراتهم نسبت إلى غيرهم.

ويشمل التراث ما يخلفه السلف للخلف من العادات والقيم والأفكار وأنماط الحياة في جميع جوانبها، فالأطعمة والأعراف والأخلاق، والعلوم المختلفة هي جزء من التراث، وكل أمة تنقل إلى خلفها ما كان عليه سلفها، وكل هذا المنقول يسمى التراث، فالتراث حركة الإنسان في التاريخ.

وينتقل التراث من جيل إلى جيل بشكل تلقائي في غالب الأحيان، ويتخذ التراث أحياناً طابع القداسة، أما لانتمائه إلى الدين، وإما لانتمائه للاباء الماضين أو التاريخ البشري القديم، وقد دخل هذا التراث بعض

(١) عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء ألعرب في تقدمه، ٩.

(٢) محمد عبدالسلام كفافي، المجتمع العربي، ١٩١.

البدع مثل تقديس القبور، وقراءة الحظ، وكل هذه البدع ليست من الإسلام، لذلك لا بد من تخليص هذا التراث من البدع.

احياء التراث: تركز معظم الشعوب على إحياء تراثها، والمحافظة على أصالتها، وعدم إهماله، بل قراءته قراءة واعية، واستخراج التراث النافع بعد إبعاد الخرافات والأساطير، ومن المؤسف أننا لم نتمسك بثقافتنا الماضية حتى الآن، وتراثنا بالقدر الذي ينبغي، إذ لا يزال قسماً من هذا التراث مشتتاً في أرجاء المعمورة في صورة مخطوطات لم تنشر[١] وبعضها نسخ وحيدة لا نظير لها في غير أمكنتها، وقد قدر العاملون بحقل المخطوطات العربية في العالم بحوالي مليون مخطوط قديم، ويعتقد أن البلاد العربية لا تضم منها أكثر من ٢٠٠ ألف، والباقي موزع بين مكتبات الدول الأجنبية العامة والخاصة.

إن هذا التراث بحاجة إلى أن يجمع وينشر على أحسن الوجوه العلمية، لأنه يشجع الناشئة من العرب المسلمين على الاتصال بتراثهم، ويعاون على تزويدهم بالأساس العربي المتين، الذي يكون منطلقاً لهم في جهودهم المبذولة لتطوير ثقافتهم، والبلوغ بها إلى ما كان لها من مستوى عالمي مرموق في القرون الوسطى.

إن نشر التراث العربي سيكشف لنا أهمية الدور الفعّال الذي قام به العلماء العرب في الميدان العلمي، ولا سيما أن كثيرين من مؤرخي العالم يتجنون على العرب في كثير من الأحيان، باتهامهم أن العرب لم يكن لهم أي دور في النهضة العلمية العربية الإسلامية إلا في نقل تراث الإغريق.

ويعد تراثنا العربي الإسلامي من أغنى تراث العالم[٢]، وهو تراث يعتز به، ذلك أنه يشمل كل انتاج المسلمين في مجالات الأدب واللغة والفكر والدين، ويمثل الإطار الذي يحدد هوية الأمة، ويمثل خلفيتها

---

(١) محمد عبد السلام كفافي.

(٢) محمود حمد زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ١٤٩.

الفكرية والركيزة الأساسية الأيديولوجية التي تتميز بها.

والاهتمام بهذا التراث لا يعني مجرد التغني بالأمجاد أو اجترار الذكريات، وإنما يعني البحث عن الجذور الحقيقية للشخصية العربية الإسلامية، واستعادة الأمة للثقة بنفسها وأمجادها وقدرتها على البناء والتطور الحضاري حتى تسير بخطى ثابتة على أرض صلبة مستندة على رصيد حضاري ضخم.

ولا يعني الاهتمام بالتراث التقوقع والانعزال عن التطورات العلمية والحضارية في عالم اليوم، فالتراث نفسه يعطينا المثل الواضح، فالمسلمون عندما بنوا حضارتهم لم ينعزلوا، وإنما انتفعوا بكل ما كان قائماً في ذلك الزمان من علوم ومعارف على اختلاف أنواعها، فالتراث يجدد نفسه بصفة مستمرة عن طريق مواكبته لروح العصر، والاستفادة إلى أقصى حد من كل الوسائل والأساليب الحديثة التي تفيد في تنميته وتطويره، وكل ذلك بما لا يتعارض مع مقوماته الأساسية.

الأصالة

الأصل في اللغة هو أساس الشيء وأوله ومنطلقه، فالأصالة في مدلولها اللغوي تعني التمسك بالأصول. من هنا كثر الحديث في وقتنا الحالي عن الأصالة مقترنة بالتجديد والانفتاح، وهذا يوحي بمحاولة توفيقية بين التمسك بالقديم والأخذ بالجديد، أي بين الماضي في صورته الحضارية المختلفة، وبين الحضارة المعاصرة في وجوهها الثقافية المتعددة.

غير أن لفظة الأصالة منذ عهد بعيد قد تجاوزت الجذر اللغوي في دلالتها، فأصبحت إلى جانب المعنى الأولي للجذر اللفظي (أصول) تعني شيئاً مزيداً عليه، فمثلاً نقول: رجل أصيل بمعنى أنه ثابت الرأي عاقل، فهذه الأصالة لا تعني شيئاً موازياً للتجديد أو للتفتح، بل هي «ركانة» قادرة على معالجة المشكلات والهموم العارضة؛ أي أن الأصالة تحمل معنى الثبات والديمومة في الوقت الذي تفيد فيه أيضاً الاستمرار والصيرورة، ومن ثم كانت الأصالة ذات حظ من التجديد والتفتح، ومن القدرة على الإبداع، بل إن الشيء الفكري أو الفني عند مختلف الأمم لا يوصف بالأصالة إلا إذا كان ذا سمات جديدة تميزه عمّا سواه، أي تجعله ذا شخصية محددة مفارقة جديدة في آن معاً.

فإذا تجاوزنا عالم الفكر والفن وجدنا أن الأصالة هي الشكل الذي تتولد منه المتنوعات، فقدرتها على التولد لا تنفصل عن كونها مرتكزاً

أصيلاً له، لذلك فإنه لا يجوز اعتبار الأصالة في خط مواز لا يلتقي مع المعاصرة والتفتح أو التجديد.

ويعجبني كثيراً التعبير الذي أطلقه أحد المسؤولين[1] العرب على «الأصالة» حيث قال، بأن الأصالة هي عدم غلق أبواب المنازل ونوافذها بحيث نحبس أنفسنا في مجال ضيق فنختنق ونموت، ولا أن نفتح أبواب منازلنا ونوافذها ونزيل سقوفها، فنكون عرضة لمختلف التيارات، تلعب فينا كما تشاء.. وإنما هي أن نفتح أبوابنا على حضارات غيرنا من الأمم، ونطل عليها من النوافذ، فنأخذ منها ما يناسب ثقافتنا وفكرنا وعقيدتنا، ونترك جانباً ما لا يتماشى وعقليتنا ومباديء ديننا الحنيف.

ويقول المهاتما غاندي عن الأصالة بأنها: أن نفتح جميع نوافذنا على الحضارات المختلفة، ونأخذ منها ما هو جديد ومفيد، على أن لا تقتلعنا من جذورنا.

ولهذا فإن الأصالة لا تعني ربط الماضي بالحاضر ربطاً آلياً قابلاً للانفصام، بل هي تعني صلاحية الماضي للاستمرار في تفاعله مع الحاضر، وما ينجم عن هذا التفاعل من تجدد في الأشكال الثقافية عامة.

وعند البحث عن الأصالة في ثقافتنا العربية الإسلامية فإنه يجب البحث عن ميادين الابداع والابتكار في ثقافتنا العربية القومية، جنباً إلى جنب مع قدرتنا على تمثل الثقافات الأخرى، وإعطائها صبغة قومية بارزة. فليست الثقافة القومية دائماً وليدة البيئة العربية، وإنما هي وليدة هذه البيئة في تلاقيها أيضاً مع ثقافات البيئات الأخرى، وقد يتم صهر هذه الثقافات الوافدة الجديدة بحيث يصعب التمييز بينها وبين الخلق الذاتي إلا بالفحص الدقيق.

وما يجب الأخذ به هو أن الأصالة هي استمرارية حية متطورة. نعم إن الأصالة هي في جانب منها تراث، ولكنه تراث يتجدد مع كل جيل.. فالجديد هو ما يبتكره أو يخلقه جيل معين إضافة إلى الماضي وتطوير له،

---

(١) مولود قاسم، آية بلقاسم، وزير التعليم الأصلي والشؤون والمقدسات الاسلامية في الجزائر.

واتساقاً معه. من هذا المنطلق نقول بأن الأصالة تعني: التجديد من منطلق تراثي حي متراكم لا يتوقف عن الحركة. ومن هنا ندرك خطأ استعمال اللفظ الثنائي: الأصالة والتجديد لأنه عبارة عن تكرار للفظين ذوي معنى واحد.

الفصل الثاني

المظاهر الحضاريّة قبل الاسلام
في الجزيرة العربية والمناطق المحيطة

- **المظهر السياسي**
  - اليمن
  - كنده
  - الغساسنة
  - المناذرة
  - مجتمع القبيلة

- **المظهر الاجتماعي**
  - الانساب
  - الزواج

- **المظهر الاقتصادي**
- **المظهر الفكري**

المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية

الجزيرة العربية

تقع في جنوب غرب قارة آسيا، ويحيطُها بحر العرب من الجنوب، وبلاد الشام والعراق من الشمال، والبحر الأحمر (القلزم) من الغرب، والخليج العربي من الشرق، وقد اطلق عليها جزيرة رغم احاطتها بالمياه من ثلاث جهات، وذلك لأن الصحراء التي تحيطها من الجهة الرابعة شبهت بالبحر لصعوبة اجتيازها.

تقسم الجزيرة العربية إلى عدة أقسام طبيعية. هي:

أ ـ تهامة: وهي السهل الساحلي الممتد من اليمن إلى العقبة على طول البحر الأحمر، وسمي كذلك لشدة حره، وركود ريحه.

ب ـ الحجاز: ويقع شمال اليمن، وشرق تهامة، ويتكون من سلسلة جبال السراة الممتدة من بلاد الشام إلى نجران في اليمن، وسمي حجازاً لأنه يحجز تهامة عن نجد.

جـ ـ نجد، ويمتد بين اليمن جنوباً، والبادية شمالاً، وسمي نجداً لارتفاع أرضه.

د ـ اليمن: ويمتد من نجد إلى المحيط الهندي جنوباً، والبحر الأحمر غرباً، ويتصل به من الشرق عمان وشحر.

هـ ـ العروض: ويشمل اليمامة، وعمان، والبحرين وسمي عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق.

المظهر السياسي

تعددت مراكز الحضارة في الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها قبل الإسلام، ومن هذه المراكز الهامة.

اليمن

ازدهرت في اليمن الحضارة قبل الاسلام للعوامل التالية:

أ ـ موقع اليمن على الطرق التجارية التي تربط بين العالم القديم، فكانت التجارة ترد من الهند والصين، فترسو على شواطىء اليمن ثم تنقل السلع إلى مأرب، فتحملها الأبل في قوافل ضخمة إلى الحجاز، فغزة، فمصر، فسواحل البحر المتوسط.

ب ـ خصوبة التربة اليمنية وكثرة أمطارها الموسمية في الصيف مكن اليمنيين من زراعة الأرض، وإقامة السدود، وحفر الآبار، وزراعة الفواكه والحبوب، فازدهرت الزراعة.

جـ ـ تعاون اليمنيين للوقوف صفاً واحداً في وجه الأخطار الخارجية، وإقامة نظام سياسي قادر على إدارة البلاد.

الدول العربية في اليمن

ساعدت العوامل السابقة على قيام عدد من الدول منها:

١ ـ الدولة المعينية (١٢٠٠ ـ ٦٣٠) ق.م، ظهرت بين نجران وحضرموت، حكمها ٢٦ ملكاً، وكانت عاصمتها معين، أشتغل السكان

بالزراعة والتجارة، وقد وصلت تجارتها إلى معان والبحر المتوسط[1] وإيران. تكلم المعينيون اللغة العربية الجنوبية، واستعملوا الحروف الأبجدية في كتاباتهم.

٢ ـ دولة قتبان (٩٥٠ ـ ٢٥ ق. م) قامت على حدود حضرموت وكانت عاصمتها تمنع، اعتمد السكان في حياتهم الاقتصادية على الزراعة والتجارة، وقد أقاموا أحواض المياه على الطرق التجارية لخدمة القوافل، كما احسنوا استغلال مياه الأمطار في الزراعة.

٣ ـ دولة سبأ (٩٥٠ ـ ١١٥ ق. م) اتخذت مأرب عاصمة الدولة. اتسعت الدولة فوصلت الحدود إلى حضرموت، وسيطرت على معين وقتبان[2]. حكمها عدد من الملوك لقبوا «مكرب» أي المقدس، ومن أشهر ملوكها الملكة بلقيس التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

اشتهرت سبأ بالزراعة، فبنت سد مأرب لري المزروعات من الفواكه والحبوب والخضروات، كما اشتهرت بالتجارة البرية والبحرية فكانت تجارتها البرية تسير من مأرب إلى مكة فالمدينة فالبتراء،ومنها إلى مصر أو الشام والعراق. أما تجارتها البحرية فكانت تسير في البحر الأحمر إلى أيله (العقبة) ومنها إلى البتراء. وكان السبأيون ينقلون البخور للمصريين، واللؤلؤ من الخليج العربي، والمنسوجات من الهند والحرير من الصين، والعاج وريش النعام والذهب من الحبشة.

عرف السبأيون الكتابة، فكان لهم ٢٩ حرفاً، وسمي خطهم بالخط المسند. أنهار سد مأرب، فرحل قسم من السكان، وانهارت الدولة.

٤ ـ دولة حمير (١١٥ ق. م ـ ٥٣٥ م) كانت مدينة ظفار عاصمة الدولة، تلقب ملوكها بملوك سبأ وذي ريدان، وقد ذكر أن الدولة

---

(١) مصطفى أبو ضيف احمد، دراسات في تاريخ العرب، ٢٨.

(٢) د. مصطفى أبو ضيف احمد، دراسات في تاريخ العرب، ٢٩.

توسعت فبلغت العراق وفارس، ومرت بمرحلتين:

أ ـ الأولى ١١٥ ق م. ٣٠٠ م: قامت على أنقاض دولة سبأ، فأنشأت السدود، وزرعت الأرض، ونشطت التجارة، وازدهرت الحضارة، فضرب السكان النقود الذهبية والفضية، وبنوا القصور منها قصر غمدان.

ب ـ الثانية (٣٠٠ ـ ٥٣٥ م) تلقب ملوكها بالتبابعة، ومن أشهرهم يوسف ذو نواس الذي اعتنق اليهودية، واضطهد النصارى وأحرقهم بالنار. فاستنجد أهل نجران بالروم والحبشة، فتقدم ارياط الحبشي لانقاذ النصارى، واحتل اليمن، وحكمها باسم الحبشة النجاشي، ثم حكم اليمن أبرهة الحبشي، فبنى كنيسة القليس لصرف الحجاج العرب عن مكة، فقام عربي بتوسيخ الكنيسة. غزا أبرهة مكة محاولاً هدم الكعبة، على رأس جيش كبير فيه الفيلة، فسمي هذا العام بعام الفيل، ولكن الله أرسل على الجيش طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول.

استنجد سيف بن ذي يزن بالفرس، فامدوه بجيش طرد الأحباش[1] إلا أن الفرس حلوا محل الأحباش، وظلت اليمن تحت حكم الفرس إلى أن جاء الإسلام، فأعلن آخر ملوك حمير «باذان» إسلامه، وانضمت اليمن إلى الدولة الإسلامية[2]، وتخلصت من الفرس.

كندة

كندة اسم قبيلة عربية، وكان زعيمها حجر بن عمرو، وقد أسس حجر الملقب بآكل المرار مملكة كندة في وسط الجزيرة العربية سنة ٤٨٠ م، واستطاع أن يوحد القبائل التي تعيش هناك، وخلفه ابنه عمرو ثم

(١) مصطفى أبو ضيف احمد، دراسات في تاريخ العرب، ص ٤٢.
(٢) عبدالعزيز سالم، تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ١٥٠.

الحارث الذي عين ملكاً على الحيرة لاعتناقه مذهب مزدك، لكن المنذر الثالث ملك المناذرة هاجمه وقتله مع ٥٠ من عائلته، وبمقتله سقطت دولة كندة لاختلاف أبنائه، وتزعم كل منهم قبيلة، فانحلت وحدة الدولة، ورجع بعضهم إلى حضرموت موطنهم الأصلي.

وكانت تربط دولة كندة علاقات جيدة مع دولة حمير، وقد حاول امرؤ القيس الشاعر المشهور أن يأخذ بثأره من المناذرة، فذهب إلى ملك الروم طالباً مساعدته، ولكنه فشل في ذلك، وتوفي بأنقره سنة ٥٤٠، وهكذا عاشت دولة كندة حوالى نصف قرن فقط.

وفي صدر الاسلام لمع بعض أمراء كندة مثل الأشعث بن قيس، الذي أظهر بطولة فائقةً أثناء فتح بلاد الشام، وقد عين والياً على إحدى المقاطعات الفارسية فيما بعد، كما اشتهر الفيلسوف الكندي أبو يوسف يعقوب، والذي لقب بفيلسوف العرب الأول في شمال الجزيرة العربية.

١ ـ دولة الأنباط:

قامت في جنوب الأردن في منطقة وادي موسى، وكانت عاصمتها البتراء أي الصخر، وهي مدينة نحتها الأنباط في الصخر، وذات موقع حصين، يصعب الدخول إليها إلا من ممر ضيق بين الصخور يدعى السيق، وهي تقع على الطريق التجاري بين الجزيرة العربية وبلاد الشام.

حكم الدولة ١٤ ملكاً، واشتهرت أيام الملك الحارث الثالث (٨٥ ـ ٦٥ ق. م) الذي صد العدوان الروماني، ودخل دمشق، وأخضع اليهود الميكابيين الذين كانوا يقيمون في بعض أنحاء منطقة القدس، وبلغت الدولة ذروتها أيام الملك الحارث الرابع (٩ ق. م ـ ٤٠ م)، فوسع الدولة حتى حوران وفلسطين، وازدهرت البلاد.

تحالف الأنباط مع الدولة الرومانية، إلا أن الأمبراطور الروماني ترجان احتل البتراء سنة ١٠٦، وضمها إلى دولته، وجعلها جزءاً من بلاد الشام.

سيطر الأنباط على الطرق التجارية التي تربط بلاد الشام والجزيرة العربية، وفرضوا الرسوم على القوافل التجارية مقابل حمايتها، ثم شاركوا بنقل السلع التجارية من بلاد الشام وإليها، واشتهروا بصناعة الفخار، وزخرفة الحجارة وصقلها.

كان الأنباط يتكلمون اللغة الآرامية؛ لغة التجارة آنذاك بالاضافة إلى لغتهم اللغة العربية، واستخدموا الحروف الآرامية في كتابتهم، ثم طوروا هذه الحروف، إلى الخط النبطي القريب من خط النسخ الحالي.

اعتنق الأنباط الديانة الوثنية، فعبدوا اللات، ثم اعتنقوا المسيحية، وأخيراً الإسلام.

٢ ـ دولة تدمر

تقع شرق حمص على الطريق البري بين العراق وبلاد الشام، أطلق عليها اليونان والرومان اسم بالميرا أي بلدة النخيل، وقد بلغت شهرتها الآفاق في عهد الملك أذينة السميدع الذي انتصر على ملك الفرس ٢٦٥ م، فعينه الامبراطور الروماني «جالينوس» قائداً عاماً، ونائباً له في الشرق، إلا أن الامبراطور تآمر عليه واغتاله في حمص عام ٢٦٧ م، فخلفته زوجته زنوبيا نيابة عن ابنها «وهب اللات» وتسمت بملكة الشرق، ووسعت حدود بلادها فشملت مصر والشام وآسية الصغرى، وسكت نقوداً عليها صورة ابنها سنة ٢٧٠ م، تضايق الرومان لذلك، وهاجموا تدمر وأسروا زنوبيا، ونقلوها إلى رومة مقيدة بالسلاسل، وبقيت في روما إلى أن توفيت، ويقال إن الزباء قتلت على يد ملك المناذرة عمرو بن عدي الذي احتل تدمر، وانتقم منها لقتلها خاله جذيمه، ثم قام الأمبراطور الروماني باحتلال تدمر.

اشتهرت تدمر بتجارتها، فأصبحت محطة لالتقاء القوافل التجارية التي تتجه من بلاد الشام إلى العراق، وفرض التدمريون ضرائب على القوافل التجارية مقابل حمايتها.

كان التدمريون يتكلمون اللغة العربية، كما كانوا يتقنون اللغة

الآرامية لغة التجارة، واستخدموا اللغة اليونانية.عبد التدمريون الشمس والقمر، ومازالت خرائب تدمر من مسارح وأعمدة، والمعبد تدل على ازدهارها السابق.

٣ ـ دولة الغساسنة

هاجر آل جفنة من اليمن بعد خراب سد مأرب، واستوطنوا حوران والبلقاء، فبنوا المدن منها: بصرى، واستعان بهم الرومان في حفظ أمن البادية، وفي حروبهم ضد الفرس والمناذرة، بلغت الدولة أوجها في القرن السادس الميلادي أيام الملك الحارث الثاني، فقد انتصر على الفرس والمناذرة في يوم حليمة ٥٥٤ م نسبة لحليمة بنت الحارث، فمنحه الرومان لقب «فلاركوس» أعلى المراتب بعد لقب القيصر الرومان.

ضعفت دولة الغساسنة لخلافهم مع الرومان، وكان آخر ملوكهم جبلة بـن الأيهم الذي وقف إلى جانب الروم في قتال المسلمين في معركة اليرموك سنة ١٣ هـ، ثم أسلم، إلا أنه هرب إلى القسطنطينية بعد ارتداده. ينسب الغساسنة إلى جفنة جدهم، كما سموا الغساسنة نسبة إلى بئر ماء اسمه غسان في بلاد الشام،

اشتغل الغساسنة بالزراعة، وبنوا القصور وأقواس النصر والحمامات، وقرية القسطل والأزرق في الأردن، وقد استقطب الغساسنة الشعراء فأكرموهم ومنهم النابغة الذبياني والعبيد.

٤ ـ المناذرة

هاجرت قبيلة تنوخ من اليمن إلى الحيرة غرب نهر الفرات بالعراق بعد انهيار سد مأرب، فأسس رئيس القبيلة مالك بن فهم دولة المناذرة في القرن الثالث الميلادي، ثم خلفه ابنه جذيمة الأبرش الذي وقع في غرام الزباء ملكة تدمر فقتلته، فخلفه ابن اخته عمرو بن عدي اللخمي، ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة اللخميين المناذرة.

وقد تولى حكم الحيرة عدد من الملوك، أشهرهم النعمان الأول (٤٠٠ ـ ٤١٨) وقد بنى قصري السدير والخورنق، وعندما انتهى

المهندس سنمار من بناء الخورنق، أمر النعمان بإلقائه من فوق القصر، فمات، ومن هنا جاء المثل المشهور «جزاء سنمار».

● المنذر الثالث ٥٠٥ ـ ٥٥٤ م ابن ماء السماء، الذي هزم الرومان في معارك عديدة، ووصل إلى انطاكية، إلا أنه قتل عندما التقى مع الغساسنة في يوم حليمه.

● النعمان الثالث، الذي حبسه الفرس لمحاولته توحيد القبائل العربية، فانتقلت زعامة العرب إلى قبائل بكر بعد وفاته في السجن، فغضب كسرى الفرس وأرسل جيشاً لتأديب القبائل، فاتحدت هذه القبائل، وتصدت لجيش الفرس وهزمته في معركة ذي قار سنة ٦١٠، فقال رسول الله «هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا»..

قضى خالد بن الوليد على دولة المناذرة في عهد الخليفة أبي بكر. كان المناذرة يتكلمون العربية، ويكتبون بالسريانية، ويدينون بالنصرانية، ويحملون التجارة إلى أطراف الجزيرة العربية، ويدافعون عن الفرس، ويحمون الصحراء من الرومان والغساسنة، وكان بلاط المناذرة ملتقى الشعراء، فقد وفد عليهم عمرو بن كلثوم، وطرفه بن العبد وغيرهما من أصحاب المعلقات.

مجتمع القبيلة

لقد كان لطبيعة بلاد العرب الجغرافية الدور الأساسي في تشكيل النظام السياسي في قلب الجزيرة العربية، فكانت القبيلة تعتبر الوحدة السياسية والاجتماعية، ولم يكن هناك دولة مركزية أو كيان سياسي يجمع هذه القبائل، ولم يكن للعرب قضاء يحتكمون إليه، أو جيش يحمي البلاد، بل كانت القبيلة بمثابة الدولة، فهي ترعى شؤون أبنائها؛ وكانت رابطة الدم هي التي تربط القبيلة. كما كان لكل قبيلة رئيس يختار من أقوى بطونها، وأكثرها شرفاً ومالاً، وأعظمها نفوذاً، وأجدرها بكسب الاحترام، وكانت رئاسة القبيلة تنتقل إلى رجل تكتمل فيه هذه الصفات إذا توفي رئيس القبيلة، ولم تكن الرئاسة في القبيلة وراثية.

وكان لكل قبيلة مجلس، يتألف من أصحاب الرأي، ورجالها الشجعان المشهورين بالفروسية، وكاهنها، وعرافها بالاضافة إلى شيوخ القبيلة وكبار السن، وكان المجلس يناقش مشاكل القبيلة كأمور الحرب، والأحلاف و... وكانت القبيلة تلتزم بقرار شيخ القبيلة.

أيام العرب

هي حروب وقعت بين القبائل العربية لأسباب تافهة، وأشهر هذه الأيام:

أ ـ البسوس: وقعت هذه الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل، ودامت أربعين عاماً. فقد حدث أن نزل رجل عند عجوز تسمى البسوس، وكانت له ناقة تسمى سراب ترعى مع أبل جساس، فضرب كليب زعيم قبيلة تغلب الناقة بسهم في ضرعها، فاعتبر جساس هذا العمل إهانة له ولخالته البسوس، فقتل كليب مع أنه زوج أخته، وبدأ القتال بين الطرفين.

ب ـ يوم داحس والغبراء: وقعت هذه الحرب بين قبيلتي قيس [عبس وذبيان]، ودامت حوالى أربعين عاماً، وسبب الحرب هو رهان على أي الفرسين يسبق داحس أم الغبراء.

جـ ـ حروب الفجار، سميت بحرب الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم بين قبيلتي كنانة وهوازن، وسببها أن رجلاً من كنانة جعل له مجلساً في سوق عكاظ، ومد رجله في الطريق، وقال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف، فقطعها الأحمر بن مازن فنشبت الحرب.

عرب الحجاز

عاشت القبائل العربية في الحجاز بحرية مطلقة، وكانت القبيلة هي الوحدة السياسية، ولم تقم في الحجاز حكومة مركزية، تبسط سلطانها على البلاد كما هو الحال في اليمن، وكانت الحجاز ذات أهمية اقتصادية ودينية، إذ إنها تقع على الطرق التجارية، فقامت فيها عدة مدن منها مكة،

والطائف، ويثرب، وينبع. وكثرت فيها الأسواق التجارية والأدبية، مثل سوق عكاظ بين الطائف ومكة، وسوق مجنة قرب مكة، وكانت تقام في الأشهر الحرم.

مكة

قامت في واد مجدب، ولكنها نمت لوقوعها على طريق القوافل التجارية بين اليمن وبلاد الشام، واشتغال أهلها أنفسهم بالتجارة، وازدادت أهميتها بمجيء ابراهيم وابنه اسماعيل إليها، فقد تفجر بئر زمزم الذي أصبحت تستقي منه القوافل التجارية والقبائل الضاربة حوله، كما تم بناء الكعبة، فأصبحت مقدسة عند العرب. يفدون إليها كل عام للحج، وبهذا أصبح لمدينة مكة مركز ديني واقتصادي هام.

صار أمر مكة لقبيلة جرهم منذ أيام اسماعيل، ثم انتقل إلى خزاعة، وظلت تتوارثه إلى أن آل إلى قصي بن كلاب سيد قريش، وزوج ابنة زعيم خزاعة، وبعد وفاته استطاع قصي أن يؤسس زعامة قبيلة قريش، وأن ينفرد بالسلطة، فقام بترتيب وظائف الكعبة بالاتفاق مع رؤساء القبائل، كالسقاية والرفادة واللواء والحجابة والندوة.

تولى قصي هذه الوظائف ثم انتقلت لابنه الأكبر عبدالدار، ولكن بعد وفاته تنازع أبناؤه وأبناء أخيه عبدالمناف هذه الوظائف، فأعطيت السقاية والرفادة لأبناء عبد مناف، في حين أخذ الحجابة واللواء والندوة أبناء عبدالدار، ثم تولى هاشم بن عبدمناف السقاية والرفادة، وتولاها من بعده ابنه عبدالمطلب،وفي عهده خذل الله أبرهة الأشرم، وصده عن مكة، كما تم تجديد حفر بئر زمزم، وقد زاد احترام العرب للكعبة بعد نبأ فشل أبرهة في احتلال مكة، فقال العرب «أهل الله قاتل عنهم، وكفاهم كيد عدوهم».

○ يثرب

تقع شمال مكة على بعد ٥٠٠ كم، وهي خصبة الأراضي هاجر إليها الأوس والخزرج بعد انهدام سد مأرب، وكان يسكنها العمالقة، ثم هاجر إليها اليهود بعد طردهم من فلسطين سنة ٧٠ م على يد تيطس،

وأقام الأوس والخزرج معاهدة حسن جوار مع يهود بني قريظة والنضير وقينقاع في يثرب، ولكن اليهود استطاعوا بذر الشقاق بين الأوس والخزرج ليسودوا في يثرب.

○ الطائف

تقع قرب مكة، أرضها خصبة، ومناخها معتدل، كان يسكنها بنو ثقيف وجماعة من حمير وقريش واليهود، وكان في الطائف «بيت يسترونه بالثياب، ويهدون له الهدي، ويطوفون حوله يسمونه الربة، ويعظمونه كتعظيم أهل مكة للكعبة، وكان به صخرة مربعة تسمى اللات[1]، ولذلك تعتبر المركز الديني الثاني بعد مكة.

---

(١) سيرة ابن هشام.

المظهر الاجتماعي

كان العرب في الجزيرة العربية بدواً وحضراً، فالحضر يسكنون المدن، والبدو ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للكلأ والماء. وكان البدو ينقسمون إلى عدد من القبائل تتنافس على المراعي وموارد المياه، وحراسة القوافل، والتفاخر بالأنساب، والتباهي بالأمجاد.

وكان المجتمع ينقسم إلى ثلاث طبقات هي:

أ ـ الأحرار الصرحاء: وهم أبناء القبيلة من نسبها الصريح، وكان لهم كل الحقوق، كالحرية، وحق اجارة الغير[1] كما كان عليهم واجبات يقومون بها كحماية القبيلة والدفاع عنها.

ب ـ الموالي: وهم الذين انضموا إلى القبيلة عن طريق الجوار أو الحلف، ومعظم هؤلاء من الحلفاء الذين ارتكبوا من الجرائم ما دعا قبائلهم إلى خلعهم والتبرؤ منهم، ويتمتعون بحقوق القبيلة، ويؤدون الواجبات تلبية لندائها.

جـ ـ العبيد، وهم من أسرى الحروب، وكان بعضهم قد اشترى، وهم من البيض والسود، والرجال والنساء، وقد حرموا من كل الحقوق، ويعهد إليهم القيام بالرعي والأعمال اليدوية، وقد يستعيد بعض العبيد حريتهم مقابل بعض الخدمات لأسيادهم، كالشجاعةعند مشاركتهم في الحرب.

---

(١) كمال اليازجي، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، ص ١٨.

وكان الموالي والرقيق يحسون بالغبن الاجتماعي فاستجابوا للإسلام.

وقد شاعت عند العرب عادات حسنة، منها إكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، والشجاعة في الحرب، والوفاء بالعهد.

واستشرت بعض الأمراض عند العرب، فكانوا يلعبون القمار، ويشربون الخمر، ويستغرقون بالترف والمجون، ويعاشرون الغواني والراقصات.

تمتعت المرأة العربية بمنزلة عالية في المجتمع العربي في غالب الأحيان، فلم تكن ترهق بالأعمال والواجبات، بل تتمتع بقسط وافر من الحرية، وقد اشتهرت بعض النساء العربيات كزنوبيا ملكة تدمر، وبلقيس ملكة سبأ. غير أن مكانة المرأة كانت تقل عن الرجل، فهي تعد جزءاً من عرضه، ولذلك كان العرب يخافون على بناتهم من العـار، فانتشرت عادة وأد البنات بين بعض القبائل، ولم يكن يثير العربي شيء كسبي النساء أثناء الغزوات، وفي هذا الجو المضطرب اعتبرت المرأة عالة، وتبرم الناس بميلادها.

الزواج

كان العربي يهتم باختيار زوجته من السيدات المنجبات، اللواتي تتوفر فيهن النجابة والذكاء والجمال، إذ يتوقف على أبنائها مستقبل العشيرة ومكانة الجيل، وكانت عقود الزواج تختلف باختلاف القبيلة، إلا أن الزواج يؤدي إلى ترابط وألفة بين الأسر والقبائل؛ وكانت المرأة محبوبة من زوجها، لحاجته إليها لتدبير شؤونه، وإعانته في أسفاره وأعماله، ولمشاركتهن في معالجة الجرحى أثناء القتال.

وكان الطلاق مباحاً عند العرب، ولكن العصمة كانت بيد الرجل، كما كانت معاملة العرب لأبنائهم تنطوي على المحبة والحنان، وكان الأب لا يزوج ابنته إلا بعد استشارتها.

وانتشرت بعض العادات الأخرى في الزواج، فكانت بعض النساء تتخذ اخلاء بدون عقد زواج، كما انتشرت عادة «الاستبضاع» وهو أن يرسل الزوج زوجته إلى رجل يتمتع بصفات جيدة كالنجابة والقوة... لتحمل منه.

المظهر الاقتصادي

تنوعت مصادر الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية قبل الإسلام فشملت:

أ ـ الزراعة

انتشرت الزراعة في اليمن لخصوبة تربتها ووفرة مياهها الموسمية، فانتشرت زراعة الفواكه والحبوب، كما تواجدت الزراعة في الواحات التي تكثر فيها الينابيع، مثل يثرب حيث كانت تزرع بالنخيل والفواكه، وكانت الطائف مركزاً هاماً للزراعة. أما سوريا بلاد الغساسنة والعراق أرض المناذرة فكانت تشتهر بزراعة الحبوب والفواكه، ولذلك ازدهرت تجارة هذه المناطق.

ب ـ الصناعة

كانت الصناعة العربية قبل الإسلام محدودة، وشملت صناعة السيوف والخناجر، وصناعة البسط، والجلود، وطحن الغلال، والحلي وغيرها من الصناعة الخشبية، والحديدية اليدوية.

جـ ـ التجارة

كانت التجارة عصب الحياة الاقتصادية في بلاد العرب قبل الإسلام في اليمن والحجاز والبتراء وتدمر، وقد ساعد على ذلك موقع الجزيرة بين قارات العالم القديم.

كان اليمنيون يقومون على نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب

منذ أزمان طويلة، فأقاموا محطات تجارية في البر والبحر، وقد أفاد هذا النشاط التجاري عرب الأنباط وتدمر، لوقوع بلادهم عند منتهى الطريق التجاري، فتولوا نقل التجارة إلى أسواق مصر وبلاد الشام. وقد جنى اليمنيون من وراء ذلك ثروة هائلة، ساعدت على قيام دول منظمة في اليمن، كما ساعدت على قيام حياة حضارية باهرة، ولكن اليمن وقعت في مجال الصراع الدولي، وفقدت استقلالها، وأضاعت تجارتها.

قامت قريش بشؤون التجارة بعد سقوط اليمن بيد الأحباش عام ٥٢٥ م، وكونوا شبكة تجارية تربط جميع قبائل الحجاز بهذه التجارة، فجعلوا من الحجاز وحدة اقتصادية متماسكة، وحققوا من وراء ذلك ثروة لا بأس بها، كما استخدموا رحلتي الصيف إلى الشام، والشتاء إلى اليمن، قال تعالى ﴿لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف... إلخ﴾.

وكانت تجارة قريش من حاصلات اليمن بجانب الواردات من الهند والصين، وتشمل المنسوجات الحريرية والقطنية، بالاضافة إلى التوابل والبهار.

وكانت الطرق التجارية المشهورة تمتد من الهند بالبحر إلى اليمن، ثم الحجاز فالبتراء، فتدمر، فالعراق ومن البتراء إلى مصر.

وكان سكان الصحراء يعتمدون في حياتهم على الرعي وتربية الحيوانات، فكانوا ينتقلون من مكان لآخر بحثاً عن الماء والربيع، فكانوا يأكلون الحليب والجبنة والزبدة، وينسجون صوف الغنم، ويقومون أحياناً بحماية القوافل التجارية مقابل الأجر.

المظهر الفكري

الأدب

كانت مكة مركز الحركة التجارية والأدبية في بلاد الحجاز، وكانت الأسواق العامة التي تعقد في الحجاز كسوق عكاظ لا تقتصر على البيع والشراء، بل كانت منتدى عاماً يحوي كل النشاط الإنساني، يتناقل فيه العرب الآداب، والعلوم، يتناشدون الأشعار الحماسية، ويتناظرون في الشعر والمواعظ، ويتسابقون في المفاخرة والمباهاة بالفضائل والأعمال الحسنة، كما كانت ساحات لسباق الفروسية والمصارعة والمؤتمرات السياسية. فأدى ذلك إلى أن أخذ اللسان العربي يتسم بسمة الاستقرار على لهجة واحدة، وإلى انتعاش الحركة الأدبية، وبعض العلوم الأخرى، كعلم الأثر وعلم الأنساب، بالاضافة إلى معرفة في الطب والفلك، والقراءة والكتابة والحساب.

وكان لانتشار التجارة العربية في بلاد الشام والعراق وفارس، ان اختلط العرب بالفرس والروم، فظهرت في الشعر العربي أفكار تدعو إلى عبادة الله، كما نمت القدرة الفلسفية لدى العرب، متمثلة في الأمثال، وهي كلمات جامعة للتجارب، والأحاسيس في واقع الحياة، يرسلونها فتكون صالحة للتعبير عن الحكمة.

وعرف العرب حركات الكواكب والنجوم وأحوال الرياح، وتحديد مواعيد الرحلات التجارية، ومعرفة الغيب والتنبؤ بالحظ وأمور المستقبل.

الـدين

لم يكن للدين قبل الإسلام في نفوس العرب إلا أثر ضئيل، فاعتقد البدو أن الصحراء ملأى بالجن، وأن الأشجار والكهوف مأهولة بالأرواح، وان عبادة الأصنام هي التي تقربهم إلى الله، ولذلك عبد العرب الأصنام، ولكن الثابت أن الكعبة كانت معروفة للعرب جميعاً، فكانت متابة وأمناً لهم، لا يمنع أحد من زيارتها والتعبد فيها، فكانت قداسة الكعبة هي القداسة التي لا خلاف عليها بين الجميع منذ القدم، كما كان فيها حول الكعبة ٣٦٠ صنماً تمثل آلهة القبائل، ويبدو أن قريشاً رأت أن تنتفع من قدوم القبائل العربية إلى الكعبة في موسم الحج، فوضعت أصنام القبائل الشهيرة حتى إذا أتوا وزاروا الكعبة، وجدوا معبوداتهم فأولوها احترامهم وتقديسهم.

وقد اشتهرت بعض الأصنام، منها مناة وهي آلهة القضاء، وأقدم الأصنام، واللات، والعزى، وكان العرب يطوفون حول الكعبة، ويقدمون القرابين لآلهتهم.

وإلى جانب عبادة الأصنام انتشرت ديانات ومذاهب أخرى منها:

- اليهودية: وانتشرت في خيبر ويثرب، وفدك وتيماء، كما انتشرت في اليمن وحضرموت.
- النصرانية: وكانت منتشرة بين قبائل تغلب وغسان في الشمال، كما أدخلت الحبشة النصرانية في نجران عند غزوها البلاد أيام دولة حمير.
- الزرادشتية، وقد دخلت عن طريق الفرس، وانتشرت بين بعض القبائل المجاورة للعراق في البحرين وشرق الجزيرة. وتقوم على أساس أن في العالم قوتين هما الخير والشر، ويرمز لإله الخير بالنور وإله الشر بالظلمة، وتعتبر النار مصدر النور الذي هو أساس الخير، وليس على أنها العنصر المحرق.
- الصابئة: ويعبد اتباعها النجوم والكواكب، وانتشر أصحابها في اليمن والعراق.

- الحنفية والموحدون، وهم الذين دعوا إلى نبذ عبادة الأوثان والتخلص من عادات وأد البنات، وشرب الخمر، ولعب المسيــر منهم: ورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة.

في خضم هذه الأفكار المتصارعة، والأفكار الوثنية المتداعية، بزغت الرسالة المحمدية، تدعو إلى عبادة الله الواحد القهار.

الفصل الثالث

دراسة تفاعل الحضارة العربية الاسلامية

- الحضارة الهندية
- الحضارة الفارسية
- الحضارة اليونانية

تفاعل الحضارة العربية الاسلامية والحضارات الأخرى

تتفاعل الحضارات المختلفة فيما بينها، فتواصل الحضارات خاصية أساسية مستمدة من كيانها الإنساني والاجتماعي، ذلك أن الحضارة أخذ وعطاء، ولو تتبعت تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام، والحركة العلمية بشكل خاص لوجدت أنها تمت نتيجة عوامل مزج بطيء مع الحضارات الأخرى، وقد ساعد على ازدهار الحضارة العربية الإسلامية عوامل مزج كانت سبب تطورها وتقدمها فيما بعد، ومن أبرزها:

أ ـ اعتناق شعوب الخلافة الاسلامية الإسلام الذي يشجع العلم، وتحولها من أديانها فابتعدت عن كثير من عناصر حضارتها السابقة، مما أدى إلى إبراز الحضارة الإسلامية.

ب ـ التعريب، ويقصد به جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في الدواوين الحكومية، ولغة التعامل بين الفاتحين، وسكان البلاد المفتوحة من فرس ورومان وأقباط وغيرهم، وترتب على ذلك، أن أقبلت الشعوب المفتوحة على هجر لغاتها تدريجياً وتعلم العربية، فأصبحت العربية كما يسميها ابن خلدون[١] «لساناً حضرياً في جميع الأمصار الإسلامية».

جـ ـ تولي العباسيين قيادة العالم الإسلامي، حيث أعتمدوا على المسلمين من غير العرب بعد أن نضجوا إسلامياً، فاقتبسوا كثيراً من

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٣.

تقاليد تلك الشعوب، حتى أن قيام الدولة العباسية يعتبر نقطة تحول في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

د ـ التنافس العلمي بين الخلافة العباسية في بغداد، والفاطمية في الأندلس، والأموية في الأندلس، أدى إلى محاولة قيادات الدول الإسلامية استقطاب العلماء، وتشجيع العلم، فازدهرت الحركة العلمية في القرنين الخامس والرابع الهجري.

هـ ـ التراث الحضاري للأمم الماضية والمعاصرة منها:

أ. الحضارة اليونانية والرومانية

تأثر المسلمون بهاتين الحضارتين بطريق مباشر، وذلك بالاطلاع على مخلفاتهم الحضارية من الكتب وترجمتها إلى العربية، وبطريق غير مباشر ذلك عن طريق الأمم التي تأثرت بتراث اليونان والرومان، كالفرس والهنود والسريان الذين شاركوا في بناء الحضارة الإسلامية، فعندما فتح المسلمون مصر والشام والعراق، دخل في طاعتهم جماعات كثيرة من السريان واليونان واللاتين، وكانت حضارة هذه الأجناس قد اختلطت بعضها ببعض عند فتح الاسكندر لهذه البلاد سنة ٣٢٣ ق.م، ونشأت عن هذا الاختلاط الحضارة الهيلنسية Hellenistic Civilisation، وهي تجمع حضارات اليونان والرومان وحضارات الرافدين والمصريين القدماء وأهل الشام، وقد سادت هذه الحضارة بلاد الشرق الأدنى، ونشأ فيها طراز حضاري متشابه مشترك، وهو الطراز الذي كان سائداً في بلاد اليونان.

ولا شك أن فتوحات الإسكندر المقدوني في الشرق كانت سبب انتشار الحضارة اليونانية، إذ أنه حاول مزج الجنس الأغريقي بأجناس آسيا، وتفاعل الحضارات فيما بينها، وفعلاً فإن الحضارة اليونانية وعلومها لم تمض عليها فترة حتى طغت على حضارات الشعوب التي غزتها، وصبغتها بصبغتها، وعندما فتح المسلمون الشرق الأدنى، وجدوا أربعة مراكز كبرى لعلوم اليونان هي.

أ - جند يسابور في إقليم الأهواز في إيران، وهذا المركز انشأته طائفة من العلماء اليونان الذين فروا من اضطهاد الدولة البيزنطية للوثنيين وعلومهم.

ب - حران في شمال العراق، ومركزه مدينة الرها، وهو مركز عبدة النجوم، «الصابئة» وكانوا أهل علم ودراسة، ويتقنون اليونانية والسريانية، وتعلموا العربية، فترجموا الكتب اليونانية إلى العربية.

جـ - انطاكية في شمال الشام، وكانت أعظم مراكز العلم اليوناني، فأصبحت مركزاً هاماً من مراكز الإشعاع العلمي للدولة الإسلامية.

د - الاسكندرية في مصر، وكانت مركزاً هاماً للعلوم اليونانية، وكانت أعداد كبيرة من الكتب اليونانية مازالت بأيدي العلماء هناك، بعد أن زالت مكتبة الاسكندرية الذائعة الصيت من الوجود، وقد فقدت هذه المكتبة قبل الفتح الإسلامي بستة قرون، أي أنها أحرقت عند الفتح الروماني لمصر.

ظلت هذه المراكز تؤدي عملها في الدولة الإسلامية، حتى أن أبا جعفر المنصور أمر جبريل بن بختيشوع أن يعمل ببغداد بيمارستانا على نمط بيمارستان جند يسابور، وتقلد أطباء جند يسابور رئاسة هذا البيمارستان، كما اتصل علماء مدارس حران بالخلفاء العباسيين، فاتصل ثابت بن قرة الرياضي الفلكي بالمعتضد، واشتهر البتاني عالم الهندسة والفلك. أما الاسكندرية فقد ولد فيها مذهب الأفلاطونية نسبة إلى أفلوطين المصري (٢٠٥ ـ ٢٦٩ م)، وقد استمد معظم آرائه من فلاسفة اليونان، وقد اهتم بالروحانيات ونقده للمذهب المادي، واستمر هذا المذهب سائداً فترة طويلة زمن الدولة الرومانية، واشتهرت الاسكندرية بحركة واسعة في العلم والأدب والفن، كما شهدت جدلاً دينياً حول طبيعة السيد المسيح.

قام المسلمون بمجهود ضخم لكي ينقلوا كتب اليونان العلمية إلى العربية، وقد ساعدهم على ذلك النساطرة واليعاقبة لمعرفتهم اللغة اليونانية والعربية، فكان للعرب المسلمين فضل في حفظ علوم اليونان من

الضياع، فلما قامت النهضة الأوربية، وجدت هذه العلوم مدونة باللغة العربية، فنقلوها إلى اللغات الأوربية.

ركز العرب المسلمون على ترجمة العلوم اليونانية، فقد دعا الأمير الأموي خالد بن يزيد نفراً من العلماء، اليونانيين المتمصرين والأقباط الماهرين في الطب، والأعشاب والكيمياء العمل معه في تجارب الكيمياء التي كان يقوم بها، وترجمة الكتب العلمية له.

لقد طلب أبو جعفر إلى حنين بن اسحق أن يترجم له كتب ابقراط وجالينوس في الطب، وكتب اقليدس في الهندسة، كما ترجمت أيام المأمون كتب في الفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والمنطق والجغرافية والحكمة.

ولا شك أن المسلمين تأثروا كثيراً بالثقافة اليونانية، ولا سيما كتب المنطق، فانتشر الجدل وأصبح أسلوب المتكلمين قريباً من أسلوب أرسطو في المنطق، وقد برز أيضاً ذلك عند المعتزلة، إذ كان للأفلاطونية الحديثة بعض الأثر في التصوف الإسلامي.

وبعد أن تمثل العرب المسلمون المعارف والعلوم، بدأ العلماء المسلمون يبزون الحضارة اليونانية، وعلماءها في ميادين الطب والرياضيات والكيمياء وما إليها كما سنرى فيما بعد.

ب ـ الحضارة الفارسية

عندما فتح المسلمون العرب بلاد فارس دخل الفرس في الإسلام أفواجاً، وأقبلوا على الإسلام يدرسونه، وعلى اللغة العربية يحصلونها، ولم يمض وقت طويل حتى أخذوا يساهمون في الحركة العلمية والتأليف في مختلف العلوم، وقد ساعد على ذلك:

أ ـ انتقال الحكم إلى العباسيين بعد انتقال العاصمة من دمشق إلى بغداد القريبة من بلاد الفرس.

ب ـ انشاء منصب الوزارة الذي اسند في غالب الأحيان إلى الفرس،

وكان هذا المنصب يأتي في المقام الثاني بعد الخليفة.

افادت الحضارة العربية الإسلامية من الثقافة الفارسية في ناحيتين أساسيتين هما:

١ - الآداب:

اعتمد الوزراء على الكتاب وكان أكثرهم من الفرس، وكان لهم أثر كبير في نشر الثقافة الفارسية في المجال الأدبي، فأضافوا الآداب الفارسية إلى الآداب العربية، وأصبح من متطلبات الأدب أن تعرف تاريخ الفرس، كما تعرف الحكم العربية، وحكم برز جمهر، وقد دخلت ألفاظ فارسية إلى العربية، كأدوات الزينة، وآلات الغناء وأنواع المآكل والملبس، كما نقل المثقفون الفرس إلى العربية تراث آبائهم في التنجيم والجغرافية والهندسة، ولكن أكثر ما نقل كان في الأدب والأساطير والتاريخ، وقد افرد ابن النديم[1] فصلاً بأسماء النقلة من الفارسية إلى العربية، ويأتي ابن المقفع على رأس هؤلاء، وكان للفرس أيضاً أثر في الشعر الديني، وفي حياة الزهد والتصوف الإسلامي.

٢ - المذاهب

لم ينس كثير من الفرس معتقداتهم القومية، فحاول بعضهم أن يدخل عناصرها في الدين الإسلامي، وهناك من حاول التوفيق بينها وبين الإسلام، ومن أمثلة ذلك انتشار المانوية والزرادشتية والمزدكية وبخاصة في العصر العباسي.

وخلاصة القول إن الفرس دخلوا الإسلام، وتبنوا حضارته، وقاموا بنصيب عظيم في النهوض بها، مثل سيبويه، والزجاج، وأبي علي الفارسي، ولا ينكر أحد فضل البخاري المحدث المشهور، ومحمد بن اسحق بن يسار المؤرخ الذائع الصيت. كما ادخلوا إلى الحضارة الإسلامية مجالس الغناء والتأنق في الطعام والشراب، والزخرف في الملبس والمسكن، وغير ذلك من النواحي.

---

(١) الفهرست، ص ٢٤٤ وما بعدها.

جـ. الحضارة الهندية

عرف العرب الهند قديماً عن طريق التجارة، وجلبوا كثيراً من منتوجاتها، وقد تأثرت الحضارة الإسلامية بشكل مباشر بالحضارة الهندية بعد أن فتح محمد بن القاسم الثقفي هذه البلاد، وقد برز تأثيرها في النواحي التالية.

أ ـ المقالات الدينية والرياضيات والحساب والنجوم والأدب، فالهنود كانت لهم فلسفة امتزجت بالدين، وقد تشربت بعض المعتقدات الهندية الفرق الإسلامية المتطرفة، كالسبأية التي اعتقدت بتناسخ الأرواح كما هي الحال عند الهنود.

ب ـ الرياضيات والحساب والنجوم، تأثر المسلمون بالهنود، فقد كلف أبو جعفر المنصور هندياً ماهراً في معرفة حركات الكواكب وحساباتها، بإملاء كتاب في هذا المجال، وأمر بترجمته إلى العربية، وقد سمي «سند هند» كما أخذ العرب بعض الاصطلاحات الرياضية كالجيب في حساب المثلثات، واقتبسوا كثيراً من نظرياتهم في الحساب والهندسة، كما اجتذبت بغداد عدداً من الأطباء الهنود منذ زمن الرشيد.

جـ ـ الأدب، استفاد الأدب العربي من الألفاظ الهندية التي عربت كالزنجبيل، والفاخور، وكذلك من القصص الهندي، فكليلة ودمنة نقلت إلى الفارسية ثم إلى العربية، وكذلك يرجح أن قصة السندباد ذات أصل هندي، واقتبس العرب المسلمون من حكم الهنود الأمثال العربية(١)، وهي خلاصة تجارب الأجيال المتعاقبة.

د. الثقافة اليهودية والنصرانية

انتشرت اليهودية والنصرانية في بعض أجزاء الدولة الاسلامية، وقد اشتهروا باحترافهم الصيرفة والصياغة، واحتكوا بالمسلمين، وتسربت ثقافتهم أثناء ذلك.

---

(١) أحمد أمين ضحى، الإسلام، جـ١، ص ٢٦٢.

وكان لليهود ثقافة أدبية ودينية وتاريخية استمدت من التوراة، غير أنها مزجت بالثقافة اليونانية، وقد دخل بعض اليهود في الإسلام، وتظاهر البعض الآخر بالإسلام،مثل عبدالله بن سبأ الذي تجول في مصر والشام والعراق والحجاز للدس والدعوة الشيعية، وكان يتجنى على الإسلام، وينسب إلى الرسول أحاديث حول وصاية علي كرم الله وجهه، فظهرت فيما بعد بعض الفرق الهدامة كالسبأية. كما أن المسلمين تأثروا بثقافة اليهود، فدخل من القصص الإسرائيلي الذي هو أقرب إلى الخرافة منه إلى الحقيقة، وخاصة في تفسير القرآن، وقد عرفت هذه الروايات بالإسرائيليات[1] والتي لم ينج منها الحديث والتاريخ الاسلامي أيضاً.

وهكذا كان الحال مع النصرانية، إذ اشتمل القرآن الكريم على مواقف وردت في الإنجيل، فنقل المفسرون شروحاً لذلك من مسلمي النصارى الذين تظاهروا بالإسلام، ودسوا أحاديث نسبوها إلى الرسول (ص)، كما قامت محاورات ومجادلات بين المسلمين والنصارى، حتم على كل طرف أن يقرأ كتب الطرف الآخر ويرد عليه.

وخلاصة القول إن اليهودية والنصرانية كان لهما أثر في تفسير القرآن، وفي الحديث، وما طرأ عليهما من زيادات وتحريفات، ويقتصر أثرها على آراء بعض المفسرين، وهي معروفة، وكان تأثير الإسرائيليات أكثر بكثير من تأثير النصرانية.

مراحل الحركة العلمية الاسلامية

تطورت الحركة العلمية الإسلامية تدريجياً وفقاً لتعاظم تأثير المزج الحضاري، ووفقاً لطبيعة فهم النظام الإسلامي، فكانت أولى مراحل هذا التطور الترجمة ثم التفهم والدرس والتمثل والهضم لهذه الحضارات. وأخيراً مرحلة الابتكار والابداع، وفيما يلي خصائص هذه المراحل.

أ ـ مرحلة الترجمة: بدأت حركة الترجمة بالتعرف على ما عند الأمم

---

(١) احمد أمين ضحى، الإسلام جـ١، ص ٢٦٢.

الأخرى من علوم، وبدأت حركة الترجمة منذ بداية الدولة الأموية، فقد عمل خالد بن يزيد بن معاوية على نقل بعض الكتب في الطب والكيمياء إلى العربية. واتسعت حركة الترجمة في العصر العباسي لتشجيع الخلفاء ورجال الدولة، والاستقرار والرخاء الاقتصادي التي كانت تسود الدولة، يضاف إلى ذلك ظهور جيل من المسلمين غير العرب ممن اتقنوا اللغة العربية بالاضافة إلى لغاتهم الأصلية، وبذلك تملكوا ناصية لغتين مما سهل عليهم الترجمة.

وقد اشتهر من المترجمين عبد الله بن المقفع الذي ترجم كليلة ودمنة من الفارسية، كما ترجم حنين بن اسحق كتب أبقراط وجالينوس في الطب، وبلغت الترجمة ذروتها زمن الخليفة العباسي، فقد أرسل البعوث إلى القسطنطينية لاحضار كتب في الطب والهندسة والفلسفة لترجمتها إلى العربية، كما شيد أول مجمع علمي في بغداد ومعه مرصد ومكتبه(١)، وعين يحيى بن ماسوية لرئاسة هذا المجمع، ثم تولى حنين بن اسحق رئاسته، وقد ترجم كتب الفلسفة لأرسطو، وكتب الجمهورية والسياسة والقوانين لأفلاطون.

وشاعت اللغات المختلفة حتى أصبحت الهندية واليونانية والفارسية شائعة عند الطبقة التي تهتم بالعلوم والآداب، وقد استطاع المسلمون ترجمة العديد من كتب العلم، والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والآداب الجيدة لدى الحضارات السابقة.

ب - مرحلة التمثيل والهضم: اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت إلى العربية، وعملوا على تفسيرها، والتعليق عليها وإصلاح أغلاطها، فقد نبغ يعقوب بن اسحق الكندي في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والفلك. وقد ساعدت معاهد الدراسة والمساجد على سرعة هضم المسلمين لهذه العلوم، فكانت المساجد مراكز هامة للحركة العربية، فمسجد البصرة كان يضم عدة حلقات من الناس، يتجادل بعضها في

---

(١) فيليب حتى، تاريخ العرب، ص ٣٠.

الشعر والأدب وبعضها في الفلسفة، واشتهرت مراكز تعليمية منها بيت الحكمة في بغداد، وهو عبارة عن مكتبة عامة بلغت ذروة نشاطها زمن المأمون، واشتهرت في القاهرة دار الحكمة. كما برزت كثير من المدارس، كالنظامية في بغداد، والأزهر في مصر، والنورية في دمشق، وهي أشبه بجامعات اليوم. وكان لتقدم صناعة الورق أثر كبير في زيادة عدد الكتب والمكتبات، كما كان الخلفاء ولا سيما المأمون الذي خصص بعض الأيام للبحث والمناظرة أكبر الأثر في ازدهار وهضم العلوم المختلفة، كما كان وزيره يحيى بن خالد البرمكي يهتم بالبحث والمناظرة(١).

جـ ـ مرحلة النضج والابتكار، بعد أن استوعب العلماء علوم الماضين، وقاموا بالتعليف عليها، وشرحها، سرعان ما نضجت دراساتهم، وأخذوا يبتكرون العلوم ويؤلفون من عند أنفسهم، ويصنفون في مختلف العلوم، وقد ازدهرت حركة التأليف في عهد المأمون والمعتصم، ولكن الوضع اختلف بمجيء المتوكل، إذ اضطربت أوضاع بغداد، واستفحل شأن الأتراك الذين قتلوا الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، فتفرق العلماء في معظم أنحاء الدولة الإسلامية، فنبغ كثير من العلماء في خراسان والقاهرة والمغرب والأندلس ودمشق ونيسابور، واشتهر كثير من العلماء المسلمين مثل الرازي من الري، وابن سينا من بخارى، والبيروني من بيروت في بلاد السند، أما ابن باجه وابن زهر وابن رشد وابن البيطار فهم من الأندلس.

وهكذا ازدهرت الحضارة الاسلامية بعد أن أخذت ما ناسبها من الحضارات السابقة، فلم تفرض الحضارات نفسها على المسلمين، بل سعى المسلمون إلى نقل العلوم المختلفة، وبنوا عليها، وزادوا وابتكروا، وبذلك لم يكن المسلمون ناقلين وإنما قاموا بواجبهم خير قيام، فادوا للنهضة العلمية أعظم الخدمات، وقادوا الانسانية في مدارج التقدم

(١) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، جـ ٢، ص ١٨٧.

والرقي[1]، وحفظوا التراث العلمي وعملوا على انمائه وزيادته، وكان رائد المسلمين أن يأخذوا أحسن ما في حضارات جيرانهم والشعوب التي يختلطون بها، ويطرحوا جانباً الطالح من هذه الثقافات التي لا تتفق مع أصول العقيدة الإسلامية والفلسفة التي يقوم عليها الإسلام.

(١) عبدالحليم منتصر، تاريخ العلوم ودور العلماء في تقدمه، ص ٩.

الفصل الرابع

مظاهر الحضارة العربية الاسلامية

● المظهر السياسي والاداري

- وحدة الخلافة
- الشورى
- الدواوين
- الوزارة
- القضاء
- الحسبة

المظهر السياسي والاداري

تطورت المظاهر السياسية والإدارية في الدولة الإسلامية مع الزمن، وقد تأثرت بالظروف التي مر بها العالم الإسلامي، ولا بد لفهم ذلك من دراسة عناصرها في أدوار التاريخ الإسلامي.

الخلافة

الخلافة لغة مصدر «خلف» أي بقي بعده، ومن ثم سمي من جاء بعد الرسول (ص) وخلفه في اجراء الأحكام الشرعية خليفة، وسمي إماماً تشبيهاً بإمام الصلاة، أما الخلافة اصطلاحاً فهي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي (ص)، فالخليفة حاكم سياسي، ويجمع السلطتين الزمنية والروحية، فهو يعلن الحرب على الكفار، ويعاقب الخارجين عن الدين، ويؤم الناس في الصلاة.

ويشترط في الخليفة

- العلم بالدين وأصوله.
- العدالة أي الاستقامة.
- الكفاية أي القدرة على القيام بمسؤوليات الخليفة.
- سلامة الحس والخلو من العاهات.

حرص المسلمون على إختيار الخلفاء القادرين على تحمل مسؤولية مهام الخلافة، ولا سيما:

أ ـ المحافظة على سلامة العقيدة الاسلامية داخل الجماعة، وتوسيع

فهم الناس لها، وتعميق ادراكهم لمعانيها.

ب ـ تطبيق شريعة الإسلام وإجراء الحق، وصيانة الأنفس والأموال والمحافظة على الأمن والنظام.

جـ ـ نشر الدعوة الإسلامية خارج نطاق الجماعة، والعمل على تيسير دخول الناس فيها.

الخلافة في عصر الراشدين

اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول (ص)، ورشح عدد من الأشخاص لمنصب الخلافة، وقد تم اختيار أبي بكر لمكانته بين المسلمين، وسميت هذه البيعة باسم البيعة الخاصة، وفي اليوم التالي بويع أبو بكر في المسجد الجامع البيعة العامة. وقد بين منهجه في الحكم في الخطبة التي ألقاها بعد انتخابه، فأكد على رقابة الأمة على تصرفات الخليفة وطريقته في إدارة شؤون الدولة الإسلامية.

مرض أبو بكر، وخاف أن يتعرض المسلمون لمحنة، ولا سيما أن جيوش المسلمين كانت مشغولة في حربها مع دولتي الروم والفرس. استشار الصحابة فيمن يتولى أمور المسلمين، فأشاروا عليه بعمر بن الخطاب، فكتب العهد إليه، ولقد سمي عمر «أمير المؤمنين» وهذا اللقب يؤكد مركز الخليفة الهام، بصفته رئيس الدولة والقائد الأعلى.

وعندما طعن عمر، خشي كبار الصحابة فتنة المسلمين وطلبوا أن يستخلف رجلاً بعده، فاختار ستة من الصحابة المبشرين بالجنة، وطلب منهم أن يختاروا أحدهم ليكون خليفة المسلمين، فاجتمع الصحابة الستة وهم: علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، عبدالرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيدالله، وتم اختيار عثمان بن عفان خليفة للمسلمين.

وعندما استشهد عثمان اختار المسلمون علي بن أبي طالب للخلافة.

وقد انتخب الخلفاء الراشدون الأربعة بطريق الانتخاب الحر، بعد

استشارة المسلمين، ولم يفكر أحدٌ منهم الاستئثار بالخلافة أو جعلها وراثية في أولاده، بل بقيت الديمقراطية في الانتخاب[1].

الخلافة في العصر الأموي والعباسي:

بعد استشهاد علي بن أبي طالب بايع اتباعه ابنه الحسن، ولكنه تنازل لمعاوية بن أبي سفيان عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين، وعندما تولى معاوية الخلافة أدخل مبدأ الوراثة عندما عين ابنه ولياً للعهد من بعده، آثار هذا العمل سخط العرب، إلا أن الأمويين فرضوا هذا النظام، واستمر النظام الوراثي في الخلافة أيام العباسيين، وتوسعوا فيه عندما عهد الرشيد لابنه الأمين، ولم يتجاوز الخمس سنوات.

كانت الخلافة قوية الجانب نافذة السلطان في العصر العباسي الأول حتى عام ٢٤٧ هـ/٧٤٩ م، فكان الخليفة يشرف على شؤون الدولة بنفسه، وعندما اتسعت رقعة الدولة استعان بعدد من الموظفين لتصريف شؤون الدولة.

بقيت الخلافة محتفظة بهيبتها إلى أن تسلط عليها أجناس متعددة، من ترك وسلاجقة وبويهيين، فأصبح الخليفة ألعوبة بيد الجند، ولم يعد له إلا الاسم، والظهور في الاحتفالات الرسمية، بل تعرض بعض الخلفاء إلى سمل العيون والعزل.

وعندما انقسمت الدولة الإسلامية إلى عدد من الدول، قامت الخلافة الأموية في الأندلس، والخلافة الفاطمية في مصر، والخلافة العباسية في بغداد، وفي عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م قضى المغول على الخلافة العباسية في بغداد، فانتقلت إلى مصر، ثم آلت الخلافة للعثمانيين بعد أن فتح سليم الأول العثماني مصر سنة ١٥١٧، واستمرت الخلافة إلى أن ألغاها كمال أتاتورك بعد الحرب العالمية الأولى.

ومما سبق نلاحظ ما يلي:

---

(١) عبدالمنعم ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية، ص ٣١.

- كان انتخاب الخلفاء الراشدين يتمشى مع الشورى التي جاء بها القرآن، وندبت إليها السنة النبوية، ولا أثر فيه للوراثة، كما أن تصرفاتهم كانت تخضع للشورى.
- لم يحاول أحد من الخلفاء الراشدين أن يجعل الخلافة وراثية، حتى أن عمر رضي الله عنه لما رأى أن يكون ابنه عبدالله مع الستة الذين جعل الخلافة في واحد منهم، لم يجعل له إلا المشورة فقط، وليس له في الأمر شيء.
- كان الخليفة عقب انتخابة يخطب الناس مبيناً لهم منهجه في الحكم، وسياسته التي اعتزم السير عليها.
- كانت سلطة الخليفة مقيدة بالعمل بما في كتاب الله وسنة رسوله، وكان ينزل عند رأي المسلمين في كل أمر يستشيرهم، وبخاصة في الأمر الذي ليس فيه نص من كتاب الله.

الوزارة

اشتق اسم الوزارة من الوزر وهو الثقل لأنه يحمل عن الملك أثقاله، أو من الوزر وهو الملجأ، لقوله تعالى ﴿كلا لا وزر﴾ لأن الخليفة يلجأ إلى رأيه ومعونته، قال تعالى على لسان موسى ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري، وأشركه في أمري﴾(١).

كان الرسول (ص) يشاور أصحابه ولا سيما أبو بكر، حتى عرف بأنه وزير الرسول، وكان أبو بكر يشاور عمر، و... وفي العهد الأموي استعان معاوية بعمرو بن العاص، وزياد بن أبيه، ولكن لم يطلق على أحد لقب وزير.

وعندما نقل العباسيون مركز الخلافة إلى بغداد أخذوا عن الفرس نظام الوزارة، فكان الخليفة يستعين ببعض الرجال لتصريف شؤون الدولة، وكان أبو سلمة الخلال أول من تولى الوزارة أيام السفاح، ثم

---

(١) سورة طه آية ٢٩.

تتابع تعيين الوزراء، حتى أصبح نظام الوزارة ثابتاً.

وقد تطورت سلطة الوزير في تصريف شؤون الخلافة، وكانت تتوقف على قوة أو ضعف سلطة الخليفة[1]، ففي العصر العباسي الأول كان الوزراء يخافون الخلفاء ولا يخرجون عن إرادتهم، وعندما ضعف شأن الخلفاء ازداد نفوذ الوزراء.

وقسم الماوردي الوزارة إلى نوعين هما:

أ - وزارة التفويض، وهي أن يستوزر الخليفة رجلاً يفوض إليه تدبير الأمور، فكانت سلطة الوزير مطلقة، ولكن لا يجوز للوزير تعيين ولياً للعهد أو إقالة الخليفة، فعندما قلد الرشيد يحيى بن خالد البرمكي الوزارة قال «إني قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي اليك، فاحكم في ذاك ما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وامض الأمور على ما ترى»، ومن أشهر وزراء التفويض جعفر البرمكي وزير الرشيد، والفضل بن سهل وزير المأمون.

ب -وزارة التنفيذ: وهي أن يكلف الخليفة وزيراً لتنفيذ مهمة ما، كتجهيز الجيش، أوتعيين الولاة، وكان بعض الخلفاء يستوزرون أكثرمن وزير تنفيذي.

احاط الفقهاء هذين النوعين من الوزارة بقوانين، بحيث أنهم جعلوا وزارة التنفيذ يتولاها أرباب الأقلام، والثانية يتولاها أرباب السيف، وكثيراً ما تولى المسيحيون الوزارة في الخلافة الفاطمية، فاستوزر الخليفة الحافظ الفاطمي «بهرام».

الحاجب: أخذت الحجابة من. المهنة، فالقائمون بهذه المهنة هم الذين يحجبون الناس عن الخليفة، حتى إذا ما أذن الخليفة لأحدهم تولى الخليفة تقديمه بنفسه، فيسير الحاجب ومعه الزائر، فإذا ما اقتربا من سرير الملك تأخر الحاجب وتقدم الزائر[2].

---

(١) عبدالمنعم ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية، ص ٣٣.

(٢) المقدمة لابن خلدون، ص ٢٩١.

لم يكن منصب الحجابة موجوداً في عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، ولما جاء الخليفة معاوية استخدم هذه الوظيفة، وذلك بسبب محاولة الخوارج قتل معاوية بعد أن نجحوا في اغتيال علي، وتشبه وظيفة الحاجب إلى حد كبير مدير التشريفات أو المراسم في العصر الحالي. وقد أولاها الأمويون عنايتهم.

وتطور منصب الحاجب في العصر العباسي، فكانت مرتبته دون مرتبة الوزير، وأصبح يستشار في كثير من أمور الدولة، ومن أبرز الحجاب الفضل بن الربيع الذي كان سبباً في نكبة البرامكة أيام هارون الرشيد. وكان الحاجب القوي الشخصية تتجاوز سلطته سلطة الوزير أحياناً وتحد من نفوذه.

وفي العصر الفاطمي والمملوكي كانت وظيفة الحاجب شبيهة بوظيفة رئيس الشرطة، أما في الأندلس فقد ارتفع شأن الحجابة، وقام بعضهم بتدبير شؤون الدولة، بل إن المنصور بن محمد بن أبي عامر استبد بالخليفة هشام المؤيد، ومنع الوزراء من الوصول إليه إلا للتسليم عليه.

لقد كان الحاجب يشغل منصباً رفيعاً، حتى أن عبدالملك لما ولى حاجبه قال له «قد وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاثة، المؤذن للصلاة فإنه داعي الله، وصاحب البريد فأمر ما جاء به، وصاحب الطعام لئلا يفسد»[1].

الولاة وإدارة الولايات: عندما انتشر الإسلام في الجزيرة العربية بعث الرسول (ص) إلى المناطق الإسلامية من يقوم مقامه في إدارة شؤون البلاد، فكانوا يؤمون الناس في الصلاة، ويجمعون الزكاة، ويحكمون بين الناس، وقد عين الرسول ولاة يتصفون بالتقوى، ومنهم[2].

- عثمان بن العاص في الطائف.
- العلاء بن الخضرمي في البحرين

---

(١) نفس المصدر ٦٠٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٤٩.

● زياد بن لبيد في حضرموت
● المهاجر بن أبي أمية في صنعاء
● عتاب بن أسيد العمري في مكة.

وفي عهد أبي بكر قسم البلاد إلى ولايات، وعين على كل منها أمير، مهمته اقامة الصلاة، وجمع الزكاة، والفصل في القضايا، وإقامة الحدود، فهو أمير وقاض ومنفذ.

وفي عهد عمر اتسعت الدولة، فقسمها إلى أقسام إدارية كبيرة، وجعل على كل قسم منها والٍ يتولى شؤونها حتى يسهل حكمها، والاشراف عليها، وعلى مواردها، وكان يختار الولاة من أفاضل القوم، ويتعهدهم بالنصح والارشاد، فقال لبعض عماله «إني لم أبعثكم جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم فتظلموهم...» ولذلك كان يختار الولاة ممن يتصفون بالعلم والتقوى، حتى يتمكن من أداء واجبه، وربما حبذ من اتصف بالورع وحسن الخلق على الخبرة في العمل، على اعتبار أن الخبرة تكتسب بالممارسة، وكان الخليفة هو الذي يعين الولاة بكتاب رسمي.

لقد قسمت الدولة أيام عمر إلى عدة ولايات منها مكة، الطائف صنعاء، الأهواز والبحرين سجستان وكرمان، وقسم بلاد الشام إلى حمص، ودمشق، وفلسطين، أما أفريقيا فقسمها إلى مصر العليا ومصر السفلى، وغرب مصر.

وقد أدخلت تعديلات عديدة على التقسيمات الإدارية في العهدين الأموي والعباسي تبعاً لاتساع رقعة الدولة ووفقاً للظروف الأمنية.

لقد قسمت الدولة في العهد الأموي إلى خمس ولايات هي:

● الحجاز واليمن وأواسط بلاد العرب.
● مصر بقسميها العلوي والسفلي
● العرقان العربي والعجمي [الواقع شرق العراق ومركزه مدينة مرو].
● بلاد الجزيرة، وتتبعها أرمينية وأذربيجان.

- المغرب العربي والأندلس.

أما الشام فكانت مركز الخلافة الأموية وحاضرة الدولة. وفي عهد العباسيين أعيد تقسيم الدولة إلى ولايات مختلفة بعض الشيء لانتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد.

صلاحيات الوالي: كان الوالي يتمتع بقسط كبير من الاستقلال الداخلي، ولا يرجع إلى الخليفة إلا في الأمور الهامة، فكان يؤم الناس في الصلاة نيابة عن الخليفة، ويشرف على الشرطة، وبيده شؤون الحرب، وأعمال الجباية، لذلك لم تكن الولاية تسند إلا لمن عرف بحسن التدبير والمرونة السياسية والخبرة.

وكان أهم الموظفين في الولاية:

- صاحب الشرطة، ويعتمد عليه في نشر النظام، والضرب على أيدي المفسدين، والقبض على الجناة، وكان ينوب عن الوالي إذا غاب في إمامة الصلاة واعطيات الجند.
- عامل الخراج، وكانت مهمته تقدير الضرائب، وتحصيلها، ودفع اعطيات الجند، وإرسال ما تبقى إلى بيت المال في العاصمة.
- صاحب البريد، وكان يقوم بنقل الأخبار من دار الخلافة إلى الولايات وبالعكس، ثم اتسعت مهمته، فأسند إليه الخلفاء العباسيون التجسس على الولاة(١).
- الجند: وكان الوالي هو الذي يقودهم في الحروب، وربما أسند قيادتهم إلى من يرى فيه الكفاية.

أنواع الولاية: تعددت أنواع الولايات، وصارت متفاوتة على ما اقتضاه الزمان والمكان، ولكنها ترجع إلى امارتين رئيسيتين هما:

١ - الامارة العامة.
٢ - الامارة الخاصة.

١ - الامارة العامة. وهي نوعان:

(١) أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي، ١٨٠.

أ ـ امارة الاستكفاء. وهي أن يفوض الخليفة للأمير امارة ما، ويشمل هذا التفويض:

- تدبير الجيوش وتقدير أرزاقهم.
- النظر في الأحكام، وتقليد القضاء والأحكام.
- جبايةالخراج وقبض الزكاة والضرائب الأخرى.
- حماية الدين والدفع عن الحريم
- اقامة الحدود في حق الله.
- الإمامة في الجمع والجماعات، وتيسير الحجيج.

وإن كانت الولاية ثغراً اقترن عمله بالجهاد وتقسيم الغنائم في المقاتلة، وأخذ خمسها لأهل الخمس(١).

وكانت أكثر الولايات على هذه الصورة، ومن أشهر عمال امارة الاستكفاء في أيام الأمويين، عمرو بن العاص، وزياد بن أبيه، والحجاج والمغيرة بن شعبه، ويزيد بن المهلب، ومسلمة بن عبدالملك.

سار الخلفاء العباسيون على غرار هذه الخطة، وكثيراً ما كانوا يفوضون إلى بعض خاصتهم عملاً من الأعمال، فيرسل هذا من يقوم مقامه في ذلك العمل.

وكان الولاة يقيمون في ولاياتهم، ويضربون النقود بأسمائهم، ويرسلون فضلات الخراج إلى الخليفة.

ب ـ امارة الاستيلاء: وهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة امارتها، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها، فيكون الأمير باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير، والخليفة يإذنه لأحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة.

٢ ـ الامارة الخاصة: وهي أن يكون الأمير مقصور الامارة على تدبير

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية.

الجيش وحماية البيضة[1] والدفاع عن الحريم، وليس له أن يتعرض للقضاء أو الجباية والزكاة في شيء، حتى الإمامة في الصلاة، فربما كان القاضي أولى بمهامه، والخليفة يعين قضاة لهذه الامارة، وكذلك جباة، ويقوم الجباة بجمع الخراج، ويؤدون أعطيات الجند، ويرسلون الباقي لحساب بيت المال المركزي، وكانت الامارات الخاصة قليلة في العهد العباسي[2].

الكتابة

العرب أمة لا تقرأ، ولم يكن يعرف القراءة والكتابة منهم عند ظهور الإسلام إلا قليل، من بينهم، عمر، وعثمان، وعلي وطلحة، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو سفيان[3].

وكان عثمان وعلي وزيد بن ثابت ممن يكتبون للنبي (ص) القرآن الكريم، والرسائل التي كان يرسلها إلى الملوك والأمراء.

وعندما تولى أبو بكر رضي الله عنه اتخذ عثمان كاتباً له، يكتب إلى العمال والقواد. وحين تولى عمر، كتب له زيد بن ثابت.

ولما انتقلت الخلافة إلى بني أمية تعددت مصالح الدولة، وتعدد الكتاب، وأصبحوا:

- كاتب الرسائل، ويخاطب الملوك والأمراء والولاة وغيرهم.
- كاتب الخراج، ويدون حساب الخراج.
- كاتب الجند، ويسجل أسماء الجند واعطياتهم ونفقات الأسلحة.
- كاتب الشرطة، يكتب التقارير عن الأحوال في البلاد.
- كاتب القضاء ويسجل الشروط والأحكام.

---

(١) البيضة: المجتمع وموضع الخليفة ومستقر الدعوة.

(٢) أبو زيد شلبي، مرجع سابق، ١٨٣.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٧.

وازداد عدد الكتبة في العصر العباسي، لازدياد الدواوين واتساع الدولة، وكثرة الولايات، فصار الوزير على أعمال الكتبة.

وقد لمع عدد من الكتّاب منهم الربيع بن يونس في عهد المنصور العباسي، والفضل بن الربيع في عهد هارون الرشيد، ومحمد بن عبدالملك الزيات في عهد المعتصم.

وفي اخريات دولة العباسيين استقلت الكتابة، وعهد فيها إلى غير الوزراء، وكان يقال لهم كتاب الإنشاء، وكبيرهم يدعى رئيس ديوان الإنشاء، وكانوا يسمونه الديوان العزيز، وهو الذي يخاطبه الملوك في مكاتبات الخلفاء بما يشبه ديوان الرياسة أو وزارة الخارجية في هذه الأيام.

وفي عهد الدولة الفاطمية كانت الكتابة تلي الوزارة في الرتبة، وكان الكاتب يقوم بعمل الوزير إذا رأى الخليفة ذلك، ولذا كان الخلفاء لا يسندونها إلا لمن يأنسون فيهم الكفاية، والقدرة على معالجة الأمور.

الدواوين

الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[1].

يعتبر عمر أبن الخطاب واضع أسس الحكم الإسلامي من الناحية العملية، وذلك لاتساع رقعة الدولة، فقد وضع الدواوين لتنظيم الإدارة. وكلمة ديوان فارسية الأصل تعنى السجل الذي يكتب فيه ما يختص بشؤون الإدارة، ثم أصبحت تدل على المكان الذي يعمل فيه الكتاب.

كانت الدواوين في عهد عمر تشمل:

أ ـ ديوان الجند، وقد سجل فيه أسماء المحاربين حسب قبائلهم، كما حددت رواتبهم.

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٧٥.

ب ـ ديوان الخراج: وكان يسجل فيه واردات بيت المال من خراج وغنائم وجزية وزكاة، ومقدار اعطيات كل مسلم، وكانت تشمل جميع المسلمين. فسجل بني هاشم حسب أقدمية إسلامهم وقرابتهم من الرسول (ص)، كما سجل الأنصار مبتدئاً برهط سعد بن معاذ من الأوس ثم الأقرب وهكذا.

تطورت النظم الإدارية والدواوين في العصر الأموي، فاتسعت المرافق والخدمات، واستخدمت دواوين جديدة تواكب هذا التطور. ومن هذه الدواوين:

جـ ـ ديوان الرسائل: أوجده معاوية بن أبي سفيان، وكان يشرف على الرسائل المتبادلة بين الخليفة والأمصار والدولة الأجنبية. وكان الخليفة يختار لهذا الديوان الأشخاص الذين اشتهروا بأمانتهم لما تتضمنه الرسائل من أسرار.

د ـ ديوان الخاتم: استحدثه معاوية ليمنع التزييف في الرسائل، وكان يحفظ فيه نسخة من كل رسالة، بينما تختم الرسائل الأصلية وتبعث إلى الجهات المقصودة، وقد استحدث هذا الديوان بعدما قام عمرو بن الزبير بتزييف رسالة، موجهة إلى والي بغداد من الخليفة يمنح عمرو مائة ألف درهم، فغيرها إلى مائتي ألف درهم، فاعتقل عمرو لهذا التزوير إلى أن أعاد المبلغ.

هـ ـ ديوان البريد: وكانت مهمته نقل الرسائل بسرعة لتسهيل الاتصال السريع بين الخليفة والولاة، وكان أصحاب البريد يقدمون التقارير الدورية عن أحوال الولايات، فهم يقومون بدور المخابرات اليوم.

و ـ ديوان الطراز: ومهمته الاشراف على مصانع انتاج الألبسة الرسمية والرايات، وكانت تنقش عليها أسماء الخلفاء بخيوط من القصب الفضية والذهبية، وكانت تكتب عليها عبارات الفأل والدعاء.

كانت الدواوين تكتب بلغات غير العربية، فكانت تكتب في العراق وبلاد فارس بالفارسية، وفي بلاد الشام باليونانية، وفي مصر بالقبطية واليونانية، وعندما تولى الخليفة عبدالملك بن مروان قام يتعريب الدواوين

في بلاد الشام، وأتم الوليد بن عبدالملك تعريب دواوين مصر، وهشام بن عبد الملك تعريب دواوين خراسان.

وكان لتعريب الدواوين أثر كبير من الناحيتين السياسية والأدبية، فقد ساعد ذلك على تقليص نفوذ أهل الذمة بعد أن انتقلت مناصبهم ووظائفهم إلى المسلمين من العرب، كما أدى ذلك إلى ظهور طبقة من الكتّاب والمترجمين الذين قامت عليهم شؤون الأعمال الكتابية، وأعمال النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية.

وقام العباسيون بتطوير نظام الدواوين الموجودة في العصر الأموي، فاستحدثت دواوين لم تكن موجودة، كديوان الضياع الذي يشرف على ممتلكات الخلفاء، وديوان المصادرة الذي يشرف على الممتلكات المصادرة، وديوان الأحشام للاشراف على شؤون خدم قصر الخليفة، وديوان الأزمة الذي يقوم بمراجعة حسابات الدواوين فيما يتعلق بالواردات والنفقات وغيرها من الدواوين.

لقد تطور ديوان البريد، فاستخدمت وسائل لنقل البريد منها:

- النقل البري: كان للبريد طرق متعددة تنطلق من مركز الخلافة إلى أطراف الدولة، وكانت الطريق تنقسم إلى محطات، يستبدل بها عمّال البريد خيولهم بخيول مستريحة في كل موقف التماساً للسرعة، وكانت قافلة البريد تتألف من دابة فأكثر، وكانت تصل إلى حوالي خمسين دابة أحياناً، وكان يعلق في أعناق الدواب جلاجل إذا تحركت يسمع لها قرقعة.

- النقل الجوي: يعتمد على الحمام الزاجل، إذ كانت الرسائل تكتب بصورة مقتضبة، وتشد تحت ذيل الطائر أو جناحه، وكانت الرسالة الواحدة ترسل مرتين مع حمامتين، حتى إذا سقطت حمامة في يد العدو وصلت الثانية.

- النقل المائي: وكانت الرسائل تنقل مع السفن في الأنهار والبحار، ولكن هذا الأسلوب كان قليل الاستخدام.

واستخدم المسلمون وسائل أخرى لنقل البريد، فكانت الرسالة ترمى في النهر الجاري لتصل إلى المكان المطلوب، أو تقذف بسهم إلى المناطق المحاصرة.

ويتلخص عمل الدواوين في الدولة الإسلامية بادارتين مركزية، تتولى الاشراف على الرسائل والبريد وشؤون المال، ومحلية وتتولى إدارة الأقاليم والولايات التابعة لدار الخلافة، وتتضمن الاشراف على الموارد المالية للأقاليم، ونظام القضاء والنظام الدفاعي.

ومما سبق يتبين أن النظام الإداري في أيام العباسيين يعادل إلى حد كبير النظم الحديثة من حيث توزيعه للعمل[١].

القضاء

القضاء هو الفصل بين الناس في خصوماتهم حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع[١]. كان الرسول (ص) يتولى الفصل في المنازعات بين المسلمين،وفي عهد «أبو بكر» تولى القضاء عمر بن الخطاب، وعندما اتسعت الدولة عين القضاة، وطلب منهم العمل بكتاب الله، وسنة نبيه والقياس، والاجتهاد والاجماع.

وكانت مهمة القاضي:

- الفصل في المنازعات.
- استيفاء الحقوق ممن ماطل بها وايصالها إلى مستحقيها.
- النظر في أحوال المحجور عليهم باختلاف أصنافهم.
- وامتدت سلطة القاضي إلى الخطابة في المساجد والاشراف على الأماكن الدينية، وولاية الحج وأخذ البيعة للخليفة، ومصاحبة الجيش في الحروب.

وقد اشترط في القاضي: الذكورة، البلوغ، العقل، الحرية، الإسلام، العلم، العدالة، سلامة السمع والبصر والخلق.

---

(١) حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ٢/٥٦٧.

وقد عين بعض الذميين للفصل في أمورهم الدينية.

تطور القضاء بنتيجة المذاهب الأربعة في الدولة العباسية، فكان القاضي يصدر أحكامه وفقاً لأحد المذاهب، ولكن الخلفاء أخذوا يتدخلون في شؤون القضاء، كما ظهر منصب قاضي القضاة في بغداد، يساعده عدد من القضاة في الأقاليم والولايات.

كانت جلسات الحكم تنعقد في أيام محددة علناً، ويتكون من القاضي والشهود العدول، والكتبة الذين يكتبون ما يدور في الجلسات، والحجاب الذين يدخلون المتخاصمين، وأحياناً يقوم صاحب الشرطة، وكان الخصوم يظهرون بمفردهم أو بواسطة وكلاء لهم(١).

كان القضاء مستقلاً، ويعتمد على الكتاب والسنة لقوله تعالى ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ واستمر ذلك في العهد الراشدي. وفي العهد الأموي، تميز القضاء بميزتين هما:

١ ـ إن القضاء يحكم باجتهاد فيما ليس فيه نص من كتاب ولا سنة، إذ لم تكن المذاهب الأربعة معروفة، والتي تقيد بها القضاة فيما بعد قد ظهرت.

٢ ـ لم يكن القضاء متأثراً بالسياسة، فقد كان القضاة مستقلين في أحكامهم، لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا يتأثرون بميول الحاكمين، وكان قضاؤهم نافذاً على الولاة وعمال الخراج.

وتطور القضاء في العهد العباسي تطوراً كبيراً، ومن أهم مظاهر هذا التطور:

- ظهرت المذاهب الأربعة، فأصبح القاضي يحكم وفقاً لأحد هذه المذاهب، وضعفت روح الاجتهاد في الأحكام. فكان القاضي المغربي

---

(١) الشيرزي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١١٥.

يحكم بمذهب مالك، وفي مصر بمذهب الشافعي، وفي العراق بمذهب أبي حنيفة.

- تأثر القضاء بالسياسة، فعمل الخلفاء على استمالة القضاة، للسير وفق سياستهم في الحكم، فامتنع بعض الفقهاء عن تولي القضاء، خوفاً من مخالفة الشريعة. فقد امتنع أبو حنيفة عن تولي القضاء في عهد المنصور العباسي، وقال له: «اتق الله ولا ترع في أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب»(١).

- استحداث نظام قاضي القضاة، يقيم في الحاضرة، ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم، ويعتبر القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة أول من لقب قاضي القضاة، فكان الخليفة هارون الرشيد يحترمهُ، وهو الذي ميز العلماء بلباس خاص بهم،وكان من قبله يلبسون مثل سائر الناس(٢).
- اتساع سلطة القاضي، فأضيف إليه استيفاء بعض الحقوق، كالنظر في وصايا المسلمين وأوقافهم، وفي أموال اليتامى.

ديوان المظالم

يختص هذا الديوان بدراسة الظلامات، وإزالة أسبابها، وكانت هذه الظلامات تشمل:

- ظلم الولاة والجباة والموظفين للناس.
- ظلم أفراد الرعية أو تسلط أصحاب الجاه على الفقراء.
- تظلم الجند إذا نقصت أرزاقهم.
- القضايا التي يعجز القاضي عن تنفيذ حكمه فيها، ويشبه هذا الديوان محكمة الاستئناف حالياً، أو محكمة التمييز، ولذلك كان الخلفاء هم

---

(١) أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ص ١٢١.
(٢) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ص ٢٤٥.

الذين يدرسون هذه الشكاوي، وكان أول من أفرد يوماً لبحث هذه الظلامات، الخليفة عبدالملك بن مروان، وبقيت الشكاوي ترفع إلى الخلفاء الأمويين رأساً.

وفي العهد العباسي اعتنى الخليفة المهدي بالشكاوي، وأتخذ بيتاً له شباك، وكان يدخله وحده ليزيل هذه الظلامات بنفسه. وكان قصر الخليفة عادة هو المكان الذي ينظر فيه المظالم[١].

وكانت محكمة المظالم تنعقد برئاسة الخليفة أو من ينيبه كالوالي أو قاضي المظالم، وهو أعلى مرتبة من القاضي، وكان يحضر جلسات المحكمة خمس جماعات، ولا ينعقد إلا بحضورهم.

- القضاة والحكام لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق.
- الفقهاء ليرجع إليهم فيما اشتبه وأشكل.
- الكتاب ليسجلوا ما جرى بين الخصوم.
- الشهود ليشهد على ما أوجبه من حق.
- الحماة والأعوان لجذب القوي، والتغلب على الجاني.

وقد ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية الفرق بين نظر المظالم، ونظر القضاة بما يوضح سلطة قاضي المظالم واتساعها، وما كان يتمتع به من نفوذ وهيبة[٢].

الحسبة

الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، فهي وظيفة دينية،لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على القائم بأمور المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلاً له، فيتعين فرضه عليه بحكم الولاية، وإن كان غيره من فروض الكفاية[٣].

---

(١) عبدالمنعم ماجد، ص ٥٣٠.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦٩.

(٣) مقدمة ابن خلدون ٢/٥٧٦ ص ٨٥.

كانت الحسبة منصباً دينياً، وكثيراً ما كانت تجمع إلى القضاء، ويقول ابن خلدون «إن الحسبة خادمة لمنصب القضاء، وكان القاضي في مصر والمغرب والأندلس يولي فيها باختياره من يقوم عليها».

تضاربت أقوال المؤرخين في منشأ الحسبة، فبعضهم يرى أن الرسول (ص) كان أول محتسب، إذ نهى عن الغش، فقال «من غشنا ليس منا». ويروى أن الرسول (ص) ولى سعيد بن سعيد بن العاص بعد فتح مكة، وولى عمر أم الشفاء الأنصارية على السوق، وربما كان لأمور تتعلق بالنساء[1]. وكان عمر يطوف الأسواق والشوارع ودرته معه، فمتى رأى غشاشاً ضربه بها مهما كان شأنه. ثم مارس الخلفاء الاحتساب بمراقبة التجار، وأصحاب الحرف.

ويبدو أن الحسبة لم تظهر كمؤسسة إدارية لها نظامها إلا في عهد الخليفة المنصور العباسي، حيث بدأ يعين المحتسب بقرار من الخليفة، وكانت تجمع أحياناً إلى الشرطة أو القضاء.

أعمال المحتسب: تشمل أعمال المحتسب النواحي الأخلاقية والدينية والعمرانية والأدبية:

- مراقبة التجارة وأصحاب المهن: كان المحتسب يراقب كل صاحب حرفة يتكسب بها مهما يكن نوع هذه المهنة، سواء أكان طبيباً أم معلماً، أو قصاباً، أو.... وكان للمحتسبين أساليب بارعة جداً في معرفة طرق الغش التي يلجأ إليها أصحاب المتاجر والصناعات. حتى أنه كان يراقب الأطباء، ويأخذ عليهم عهد أبقراط، ويحلفهم على ألا يعطوا دواء مضراً، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة، ومنع الاحتكار في التجارة.
- مراقبة الأسعار والموازين[2]: يجبر المحتسب الباعة على وضع تسعيرة بعض المواد مثل اللحم والخبز.

---

(١) الدياك، ص ٨٥

(٢) الشيرزي، ص ١٨.

- مراقبة الأخلاق العامة: كالمحافظة على آداب الطرقات، ومنع مضايقة المارة، ومنع شرب الخمر، والشعوذة.
- مراقبة العبادات: كمراقبة المسلمين في صلواتهم، ومنعهم من الافطار في رمضان، والعناية بنظافة الجامع، وإزالة الخمور، والنهي عن المنكر.
- مراقبة الأبنية والدور: وذلك كهدم الأبنية التي يبرز بها أصحابها إلى الطرق العامة، وهدم البيوت المتداعية، ومنع فتح النوافذ في الأبنية التي تشرف على الجيران، وكنس مياه الأمطار بسبب ما ينتج عنها من أوحال.

كما يقوم المحتسب بالرفق بالضعفاء، وإجبار أصحاب الحيوانات على عدم استعمالها فيما لا تطيق، والمحافظة على اللقطاء، ومنع الصبيان من ضرب الأطفال.

وهي بهذا تشبه وظيفة رئيس البلدية، ورئيس الشرطة الأخلاقية، ومدير الشؤون الاجتماعية، ومدير التموين.

مجلس المحتسب: كان للمحتسب دار خاصة به تسمى الحسبة، يقيم فيها، ويصرف منها جميع أعماله، وكان له عدد من النواب، يساعدونه في أعماله، وكان يتقاضى راتبه من بيت المال.

العقوبات: كان المحتسب يأمر باتلاف البضائع الفاسدة، ويمنع التاجر الغشاش من العمل، وإعلان اسمه ليتجنبه الناس، وكان في مصر إذا كذب أحد التجار أو باع بأكثر من الثمن يدفع بالتاجر على جمل، ويعطى جرساً بيده، ويطاف به في المدينة، وهو يدق الجرس، ويقول «كذبت، وها أنا أعاقب، وكل من يكذب فجزاءه العقاب».

شروط المحتسب: من شروط والي الحسبة أن يكون حراً عدلاً ذا رأي وصرامة، وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة[١]، لذا كان

---

(١) أبو زيد شلبي، مرجع سابق، ٨٣.

لا يتولاها إلا رجل وجيه في دينه ودنياه، وله أن يتخذ الأعوان الذين ينوبون عنه في المدن والأمصار، ويطوفون على أرباب الحرف والمعايش في الأسواق والطرقات، يفتشون القدور واللحوم وأعمال الطهاة، وما إلى ذلك[1].

أثر الحسبة في المجتمع:

كان للحسبة أثر في النفوس الكريمة، والتوجيه الحميد، لذوي القلوب الطاهرة، وحتى النفوس الجامحة كثيراً ما يؤثر فيها الوعظ ويلطف من جموحها الارشاد، وهذا أمر ملموس، فإذا ما اهتم أولو الأمر بالحسبة، وأولوها عنايتهم، واختاروا لها الأكفاء حصلوا على نتائج جيدة وثمرات طيبة، ذلك أن المجتمع فيه تباين في الأخلاق، وتنافر في الطباع، يحتاج إلى اللين أحياناً، والشدة أحياناً أخرى.

الشرطة

الشرطة هم الجند الذين يعتمد عليهم السلطان والخليفة، أو الوالي في حفظ الأمن، والضرب على أيدي المفسدين والمذنبين.

لقد أسسَّ عمر بن الخطاب نظام العسس، وفي عهد علي نظمت وأصبح رئيسها يسمى «صاحب الشرطة».

أما في عهد الدولة الأموية، فقد كان صاحبها يختار من علية القوم، وأطلقوا عليه صاحب الأحداث، وهو يشبه مدير الأمن في وقتنا الحاضر.

كانت الشرطة من توابع القضاء في أول الأمر، فكان الغرض منها تنفيذ أحكام القضاء، وفرض العقوبات الزاجرة على المذنبين، وإقامة الحد على شرب الخمر، ثم انفصلت وأصبحت مستقلة.

---

(١) المقريزي، الخطط ٢/٤٦٣.

الفصل الخامس

المظهر الفكري

- **العلوم الطبيعية.**
- **العلوم الفلسفية.**
- **العلوم الاجتماعية.**
- **العلوم الدينية**
  - علوم القرآن
  - التفسير
  - الفقه.

العلوم الطبيعية

الرياضيات

كان العرب يستخدمون العد في أمورهم، ويسجلون الأعداد بالحروف، وبعد الفتوحات الاسلامية، اطلعوا على علوم الدول المختلفة، ووجهوا اهتماماً كبيراً للحساب والجبر والهندسة والمثلثات، وتقدموا في هذه المواد، وأضافوا إلى ما نقلوه عن اليونان والهنود، بل تفوقوا في أقسام الرياضيات التالية.

أ ـ الحساب: أخذ العرب نظام الترقيم عن الهنود، فهذبوها، وكونوا منها مجموعتين عرفت احداهما بالأرقام الهندية، وهي التي لا تزال تستعمل في العالم الإسلامي، وعرفت الثانية بالأرقام الغبارية وهي التي تكتب بها الدول الأوروبية أرقامها، وتسميها بالأرقام العربية(١).

ووضع المسلمون أسس الحساب من جمع وطرح وقسمة وكسور(٢). كما أوجدوا رقم الصفر في القرن الثامن، والثابت أن الغرب لم يعرف الصفر إلا بعد أربعة قرون، وقد أمكن حل كثير من المعادلات الرياضية في مختلف الدرجات بعد معرفة الصفر.

ب ـ الجبر: تقدم علم الجبر في العهد الإسلامي، حتى عرف هذا العلم بالإسم العربي في اللغات الأوروبية، وكان الفضل الأكبر لتقدم هذا

---

(١) د. أحمد فؤاد باشا، التراث للحضارة الإسلامية، ١٤٥.

(٢) د. عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ٢٢٢.

العلم إلى محمد بن موسى الخوارزمي رئيس بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون، وقد ألف كتاب «الجبر والمقابلة» وقد نجح في حل المعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة والرابعة بواسطة قطع مخروط، كما شرح معنى الحد المعلوم والمجهول وفكرة الأسّ، والكميات السالبة والموجبة. ومهد ثابت بن قرة ببحوثه الرياضية إلى حساب التكامل والتفاضل. وزاد نصر الدين الطوسي ت ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٤ م فوضع كتاباً باسم «الجبر والمقابلة» مكن من حل المعادلات الجبرية والهندسية.

جـ ـ الهندسة: أخذ العرب أصول الهندسة عن اليونان، وقد ترجم المسلمون كتاب اقليدس في الهندسة وسموه الأصول وذلك في عهد الخليفة المنصور، وأضاف العرب إضافات كثيرة، وأدخلوا أموراً جديدة مثل تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية، وكذلك الدائرة. وقد ألف الكندي الرسائل المختلفة في تقسيم المثلث والمربع، واستخرج سمت القبلة، وكان يرجع إلى مؤلفاته المعماريين عند القيام بحفر الأقنية والجداول بين دجلة والفرات.

وأدخل العرب المماس، والقواطع، واستخدم العرب فن الزخرفة الذي يعتمد على قواعد هندسية في رسم المغلقات، وترتيب الخطوط، وأوراق النبات، وجمع العرب بين الهندسة والجبر، ولذلك يعتبرون واضعي الهندسة التحليلية.

د ـ المثلثات: يعتبر علم المثلثات عربياً، فقد اشتغل العرب بالمثلثات واستعملوا المماسات والقواطع، ونظائرها في قياس الزوايا والمثلثات، ووضعوا الجداول التي مهدت لاكتشاف قانون اللوغاريتمات، وعرف العرب حساب الأقواس التي تريح من استخراج الجذور المربعة، واستعملوا الجيب واستنبطوا طرقاً لحل المشكلات المتعلقة بالمثلثات الكروية.

(١) د. توفيق الطويل، في تراثنا العربي الاسلامي، ٢٣٩.

وهكذا يدين علم حساب المثلثات بوجوده لرياضيي العرب المسلمين، فهم أول من أقاموه علماً مستقلاً عن الفلك، بعد أن كان مجرد معلومات تخدم الفلك وأرصاده. ولعل البيروني هو أول رواد هذا الفرع من الرياضيات، إذ وضع التحليلات المثلثة الزوايا مكان المربعة الزوايا لبطليموس؛ وأدخل التماس. وتشير كتب نصير الدين الطوسي إلى المماس، والكل في حساب المثلثات بالتفصيل، وقد استعان بما أسهم به قبله ثابت بن قرة، كما كان للبستاني الفضل في تطوير هذا العلم، لأنه استبدل بالمربعات المثلثات في حل المسائل، وبالقوس جيب الزاوية. كما وفق العرب في وضع أصول الهندسة التحليلية التي تعزى نشأتها في أوروبا إلى ديكارت في القرن السابع عشر(١).

علم الفلك:

يرتبط هذا العلم بالعلوم الاجتماعية، ويعتبره كثير من العلماء جزءاً من الجغرافية.

كانت معلومات العرب الفلكية قبل الإسلام محدودة، فكانت معارفهم تقتصر على معرفة أسماء النجوم، والأشهر القمرية، وكانوا يستفيدون من هذه المعارف في معرفة الطرق في الصحراء ولا سيما في الليل. استعان العرب المسلمون بمعلومات القدماء من المصريين والفرس والهند.

تطورت المعارف الفلكية بعد الفتوحات الاسلامية، وترجمت كتب الفلك للأمم الأخرى، ولا سيما كتب اليونان الفلكية. فأنشأ العرب المسلمون مرصداً لرصد النجوم في بغداد في عهد المأمون، كما صنعوا الاصطرلاب. واستخرجوا محيط الكرة الأرضية التقريبي، بعد أن قالوا بكروية الأرض، وعرفوا أوقات الخسوف والكسوف.

اشتهر عدد من الفلكيين المسلمين منهم أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي المتوفي ٢٢٢ هـ/٨٤٦ م، وقد وضع عدداً من الكتب في الفلك أبرزها كتاب الزيج الأول والثاني. والزيج عبارة عن جدول فلكي للنجوم وحركاتها. وأبو عبد الله محمد البتاني المتوفي ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م

---

(١) توفيق الطويل، ٢٤٠.

الذي رصد الكسوف والخسوف، وأصلح قيمة الانقلابين الشتوي والصيفي، كما رصد الكواكب والأجرام السماوية، وقد وضع كتابه «الزيج الضائي» فكان أول زيج يحتوي على معلومات صحيحة، وأرصاد كان لها أثر كبير في علم الفلك عند العرب المسلمين[1].

لقد بنى الأمويون مرصداً في دمشق سنة ٨٢٩ م، وهو أول مرصد في الإسلام، وبنى أولاد موسى مرصداً في بغداد، وأنشأ الفاطميون المرصد الحاكمي على جبل المقطم، واشتهر بأجهزته الدقيقة، وبتفوق المشتغلين فيه، وكانت هناك مراصد أخرى في الأندلس وسمرقند وأصبهان.

وعرف المسلمون المزولة الشمسية، والساعة المائية لتحديد الزمن. ومن الكتب الفلكية الهامة كتاب «النجوم الثابتة» لعبد الرحمن الصوفي، وهو من أحسن الكتب التي وضعت في علم الفلك، حيث جمع فيه أكثر من ألف نجم ووشاه بالخرائط والصور الملونة، ورسم أشكال النجوم وذكر أسماءها العربية التي لا يزال بعضها مستعملاً: كالجدي Algadi ، والعقرب Acrab ، والدب الكبير والصغير.

المراصد وآلاتها وأزياجها: شاهد العرب عندما فتحوا مصر مرصداً قديماً في الاسكندرية، فتعلموا بناء المراصد، فبنوا مرصداً في دمشق في العهد الأموي، ثم انتشرت المراصد ولا سيما في عهد المأمون، فبنى مرصداً في دمشق وآخر في بغداد، وتتابعت المراصد، فبنى الفاطميون مرصداً في القاهرة.

وقد استخدمت للرصد آلات، منها:

- الاسطرلاب (مشتقة من اليونانية اسطر معناها نجم، لابون المرآة أي مرآة النجوم) يفيد في رصد النجوم ومعرفة ارتفاعها.
- اللبنة وهي جسم مربع مستوي يعرف به أبعاد الكواكب.

---

(١) د. أحمد فؤاد باشا. التراث العلمي والحضارة الاسلامية، ص ٩٨.

- السمت وهي نصف حلقة قطرها سطح من سطوح أسطوانة متوازية السطوح، يعلم بها السمت وارتفاعها.

أما الازياج فهي كلمة فارسية، وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يختص بكل كوكب من طريق حركته. وتؤدي إلى معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية.

بعض الأعلام في الرياضيات والفلك:

نبغ كثير من العلماء في الرياضيات والفلك، وكان لهم فضل في تقدم هذين العلمين، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

- الخوارزمي، محمد بن موسى، عاش في عصر المأمون، ت ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م ألف في الرياضيات والفلك، كتاب الجبر والمقابلة، كتاب صورة الأرض، كتاب الزيج الأول، وكتاب العمل بالاصطرلاب. وقد حل الخوارزمي المسائل الحسابية بطريقة الجبر.

- البتاني، أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان، ت ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م يعتبر من أكبر فلكيي العرب، كتب رسالة في علم الفلك، اشتملت على مختصر للنسب المثلثية، أدخل فيها الجيب والظل، وأضاف بحوثاً مبتكرة في الفلك والرياضيات. قام بجهود كبيرة في رصد أوقات الكسوف والخسوف. وله كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك، وشرح المقالات الأربع لبطليموس.

- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، توفي عام ٤٤٠ هـ/١٠٤٨ م، بحث عن الرياضيات والفلك والفيزياء، فتحدث عن قطر الأرض، وأن سرعة الضوء أكثر من سرعة الصوت، وأشار إلى قسمة الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية، صنف الآثار الباقية عن القرون الخالية، وتحديد نهايات الأماكن، وله مقالة في استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني. وعرف قانون تناسب الجيوب وعمل تجربة لحساب الوزن النوعي، وأوجد الوزن النوعي لـ ١٨ مركباً، وله أكثر من ١٢٠ كتاباً.

- ابن الهيثم، الحسن بن الحسن البصري ت ١٠٣٨/٤٣٠، ويعتبر أعظم علماء العرب قاطبة في الرياضيات والفيزياء.
- وهناك عدد آخر من العلماء يصعب حصرهم، منهم الخازن الذي توفي في القرن الخامس الهجري، واشتغل في الطبيعيات والفلك وعمل زيجاً حسب فيه مواقع النجوم سنة ٥٠٩ هـ، وبحث في الكثافة وكيفية إيجادها للأجسام الصلبة، وله كتاب «ميزان الحكمة» في الميكانيك.
- وأبو الوفاء البوزجاني ت ٩٩٨/٣٨٨ من علماء الرياضيات المشهورين، وله كتاب المنازل في الحساب.

علم الجيولوجيا:

عرف العرب معلومات تنتمي إلى علم الجيولوجيا، وإن كانت قد جاءت متناثرة في كتب التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية في أثناء محاولاتهم لتفسير الظواهر الطبيعية بعيداً عن الخرافات، فوضعوا بذلك أصول البحث العلمي السليم القائم على التجربة والمشاهدة.

وقد ساهم كتاب الشفاء لابن سيناء في تقديم بعض الآراء والنظريات الجيولوجية، ولا سيما عن المعادن، فقد تعرض إلى تكون الجبال، واهتم الجيولوجيون العرب بدراسة سطح الأرض، وتأثير أشعة الشمس والقمر والنجوم وعوامل التعرية المختلفة على شكله وتكوينه، وتحدث ابن سينا عن تكوين الصخور، وأسباب حدوث الزلازل، فقال عنها «الزلزلة حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض، بسبب ما تحته، ولا محالة أن ذلك السبب يعرض أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه»، كذلك حاول إخوان الصفا شرح أسباب الزلازل.

وللبيروني آراء هامة حول تكوين القشرة الأرضية، وما طرأ على اليابسة والماء من تطورات خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة، من ذلك قوله «ينتقل البحر إلى البر، والبـر إلى البحر في أزمنة،....» وقد وصف البيروني عدداً من الأحجار الكريمة، من بينها الياقوت والماس والمرجان واللؤلؤ وغيرها.

وهكذا وضع ابن سينا والبيروني وغيرهما من العلماء المسلمين قواعد فروع علم الجيولوجيا بمفهومها العلمي السليم.

علوم الطبيعة

اطلع المسلمون على علوم اليونان الطبيعية، وترجموا هذه الكتب ودرسوها، ثم انتقدوها، وأخذوا بدورهم يجربون النظريات القديمة ويراقبون التجارب فيزيدون عليها، ويعدلون أخطاءها، ثم يضعون ملاحظاتهم الجديدة عليها، وأهم العلوم الطبيعية هي:

أ - **الفيزياء**: عرف ثابت بن قرة، وموسى بن شاكر بتجاربهم المختلفة فكرة الجاذبية، فمهدوا لاكتشاف نيوتن لقوانين الجاذبية، واخترع الفلكي ابن يونس المصري «رقاص الساعة»، واستعمله المسلمون في حساب الفترات الزمنية في الرصد، وبذلك لم يكن غاليلو هو الذي اخترعه بل هو الذي أوجد قوانينه.

وقطع المسلمون شوطاً بعيداً في علم الضوء، فدرسوا مؤلفات أرخميدس واقليدس، وعلقوا عليها وأضافوا إليها، واشتهر ابن الهيثم في القرن الخامس الهجري في ابتكاراته العلمية، إذ وضع كتاب «المناظر» الذي شرح فيه رؤية العين، وتكوين صور المرئيات على شبكة العين وانتقالها إلى المخ، ودحض رأي اليونان القائل أن رؤية الأجسام تنشأ عن انبعاث أشعة من العين لتسقط عليها، وأثبت ابن الهيثم أن الأشعة تخرج من الشيء المرئي للعين، بدليل أن العين لا ترى في الظلام، كذلك بحث انعكاس الضوء في المرايا وتكوين الصور بواسطتها، وأوضح ظاهرة انكسار الضوء[١] وعلل ظاهرة السراب، ورؤية الشمس قبل شروقها وبعد غروبها، وكانت له بحوث كذلك في الغرفة المظلمة «آلة التصوير»، وترجمت رسالته في المرئيات الى اللاتينية والايطالية[٢]، واتخذها كبلر مرجعاً لابحاثه.

---

(١) عبد المنعم حامد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ٢٥٥.

(٢) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ٣/٣٤٩.

وتحدث المسلمون عن نظرية الأواني المستطرقة[١]، وأشار أبو الريحان البيروني إلى الكثافة النوعية لثمانية عشر نوعاً من الحجارة الكريمة، ووضع القاعدة التي تنص على أن الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذي يزيحه[٢].

وبحث العلماء العرب في الصوت، وقالوا ان سرعته أقل من سرعة الضوء، وأن الحرارة تسير مع الاشعاع، وعلل العلماء تكون قوس القزح تعليلاً دقيقاً، وكان لهم نظريات صائبة في الصوت والحرارة والضغط الجوي والجاذبية.

ب ـ **علم الميكانيك**: سماه العرب علم الحيل، وقد عرف العرب المسلمون الرافعة، والاسفين، ورفع الأثقال بالبكرات والروافع، ووضعوا موازين غاية في الدقة، واستخدموا الابرة المغناطيسية في تحديد الجهات، وقد عرفها الأوروبيون عن طريق العرب.

بعض الأعلام في علوم الطبيعة:

اشتهر العديد من علماء المسلمين الذين بحثوا في علوم الطبيعة ومنهم:

- أبو الفتح عبد الرحمن الخازن، بحث هذا العالم في الضغط الجوي والوزن النوعي للأجسام السائلة والصلبة، والجاذبية،وصنع آلات وموازين دقيقة.
- أبناء موسى بن شاكر، موسى أحد علماء الهندسة في عصر المأمون، وأولاده محمد وأحمد وحسن، فاقوا أباهم في العلوم الرياضية والطبيعية، ولهم كتاب في الميكانيك يعرف «بحيل بني موسى» جمعوا فيه علم الميكانيك القديم وتجاربهم الخاصة، وهو يحوي على مائة تركيب ميكانيكي، عشرون منها ذات قيمة عملية، ولهم كتاب آخر في مراكز الأثقال.

---

(١) غوستان لوبون، حضارة العرب، ٥٠٠.

(٢) أحمد فؤاد باشا، مرجع سابق، ١٨٥.

وشرح بعضهم صعود مياه الفوارات والعيون إلى أعلى، وكيفية ترشيح مياه الآبار بالرشح من الجوانب، وبينوا كيفية صعود المياه إلى الأماكن العالية بالقلاع ورؤوس المنارات.

- عبدالرحمن بن أحمد بن يونس ت ٣٩٩ هـ/ ١٠٠٩ م، ألف في الفيزياء والرياضيات، وهو الذي اخترع الرقاص. وكان الفلكيون يعتمدون عليه لحساب الفترات الزمنية في رصد النجوم.
- عباس بن فرناس ت ٢٧٤/ ٨٨٧، عاش في الأندلس، وصنع ساعة سماها «المتقانة»، ويعتبر من رواد المفكرين بالطيران، وعمل جناحين لنفسه، ثم قفز من مئذنة جامع قرطبة، ولكنه لم يعمل ذيلاً لنفسه يحفظ توازن جسمه، فوقع ومات.
- كمال الدين بن يونس ت ١٢٤٢ م، لاحظ تذبذب الرقاص وعرف كثيراً من قوانينه، وعلى هذا فنسبة اختراع الرقاص للعالم الايطالي غاليلو نسبة مجحفة بحق العرب، لأن العرب استعملوه قبله بستة قرون، واستعملوه في الساعات الدقيقة.

الطب: اهتم العرب بالطب منذ أقدم الأزمنة فتكونت عندهم ثقافة طبية حسنة، وكان الحارث بن كلده من الأطباء المشهورين قبل الإسلام. ولما جاء الإسلام وقامت الفتوحات الاسلامية زادت الحاجة إلى الطب، لمعالجة الجرحى والمرضى، فاتجهوا إلى العلوم الطبية، وأولوها عنايتهم، واستوحوا من كتب من سبقهم من اليونان وغيرهم العلوم الطبية، فأخذوها وصححوها، وأضافوا إليها أبواباً جيدة، فتقدم على أيديهم تقدماً ظاهراً. فكان يوحنا بن ماسويه ت ٨٥٧/٢٤٢، وحنين بن اسحاق، وثابت بن قرة ت ٩٠٢/٢٨٨[1]. واستمر علم الطب مزدهراً عند المسلمين طوال العصور الوسطى، وأصبح علماً وفناً تخصص له المعاهد[2].

---

(١) عبد المنعم بن ماجد، ٢٤٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ٢/٢٦٠.

الأمراض التي عالجها العرب:

عرف العرب معالجة الأمراض الباطنية، وأضافوا إلى ما اقتبسوا صفات جديدة عند وصفهم بعض الأمراض المعدية، كالجدري والحصبة، وعرفوا التهاب السحايا والسل الرئوي وطرق انتقاله، والحميات، وأمراض الأطفال، واكتشفوا طفيلية الانكلستوما على يد الشيخ ابن الرئيس في كتابه «القانون في الطب» وسماها الدودة المستديرة، وتحدث عن الأمراض السارية، وحاولوا تفتيت الحصى[1]، وعلاج النزيف بصب الماء البارد، كما عرفوا الأمراض النفسية، ودرسوا التشريح بتقطيع أجسام القردة؛ بل ان عبد اللطيف البغدادي (ت ١٢٣١) سافر من سوريا إلى القاهرة لفحص الهياكل التي كانت موجودة قرب القاهرة، وتوصل إلى أن الفك الأسفل عبارة عن عظمة واحدة بدون مفصل، وليس مؤلفاً من عظمتين يجمع بينهما مفصل كما قال جالينوس[2].

وكان الأطباء يفحصون المريض بفحص النبض والبول، ولهم كتب كثيرة فيها، وفي أوصافهما وأحوالهما، كما كتبوا في علم الوقاية، وكانوا يقولون أن الواجب الرئيسي للطبيب هو حفظ الصحة، وهذا ما يؤكده المثل العربي المشهور «الوقاية خير من العلاج».

التخصص في الطب:

تنوعت الاختصاصات في الطب، منها:

أ ـ الجراحة: مارس الأطباء الجراحة الطبية، فقاموا بإجراء عمليات كثيرة، شملت معالجة الأورام الأنفية، وخياطة الأذن، والشفة، وقطع اللوزتين وشق أورام الحلق، وقطع الاثداء السرطانية، وإخراج الحصاة من المثانة، وخياطة الجروح، وإخراج العظام المكسورة، واستعمل العرب آلات جراحية دقيقة بلغ عددها أكثر من ٢٨٠ آلة لمختلف العمليات.

---

(١) أبو زيد شلبي، ٣٥١.

(٢) احمد فؤاد باشا، ١٨٣.

واستعمل الجراحون التخدير باستعمال الزوان والشيلم حتى يفقد المريض الوعي والاحساس.

ب ـ الطب الباطني: اكتشف المسلمون كثيراً من أمراض المعدة والرئتين السارية وغيرها من الأمراض الداخلية.

جـ ـ طب العيون: أطلق على طب العيون الكحالة، وعالج المسلمون العرب نتوء العين، والتصاق الجفن، وأمراض العيون الأخرى.

د ـ طب الأسنان: عالج الأطباء مرض الأسنان بقلع الأسنان التالفة، وكانوا يشبكون الأضراس المتحركة بالذهب.

معاهد الطب: أسس المسلمون مدارس الطب في مصر والشام وبغداد وغيرها، وكان الطلاب يدرسون الطب وفق منهاج محدد، ويمارسون التطبيق العملي في المستشفى النوري والمنصوري، وبعد انهاء الدراسة كانوا يتقدمون لامتحان تحت اشراف المحتسب، ولم يكن يسمح للطبيب بممارسة المهنة إلا بعد أداء اليمين الطبي، واجتياز الامتحان، والحصول على حق ممارسة الطب.

المستشفيات: شيد المسلمون المستشفيات لجميع الأمراض، وخصص قسم منها للأمراض النفسية، والأمراض السارية، وأقسام للنساء، ومن أشهر المستشفيات، المستشفى النوري بدمشق (نسبة إلى نور الدين زنكي) وكان في المستشفيات أسرة، وصيدليات، وأطباء مقيمين ومكتبة. وكان في بغداد وحدها ١٤ مستشفى في العصر العباسي، أشهرها بيمارستان العَضُدِي.

بعض الأعلام في الطب: كثر الأطباء المسلمون المشهورون، سنقتصر على بعضهم.

- أبو بكر الرازي ت ٣١٨/ ٩٤٠، أدرك أهمية العلاج، ألف في الأدوية والمركبات والتشريح، والجدري والكلى والقلب والكبد، وكان أهم كتبه في الطب «الحاوي في علم التداوي» وكتاب المنصوري في تشريح أعضاء الجسم، ويروى أنه كلف باختيار مكان صحي ببغداد لانشاء

بيمارستان عليه، فعلق في كل حي قطعة لحم، ثم اختار المكان الذي ظل فيه اللحم صالحاً أطول مدة ممكنة. وقد ألف العشرات من الكتب، وأشار إلى مصادرها المختلفة، وأول من قال بالعدوى الوراثية.

● ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله ت ١٠٣٧/٤٢٨ هو شيخ أطباء العرب، وقد لقب بالرئيس لتأثيره في الطب عدة قرون، وله مؤلفات طبية عديدة أشهرها «القانون في الطب» تناول فيه كثيراً من الأمراض كالأنكلستوما والسل الرئوي والأمراض الجلدية والتناسلية والاضطرابات العصبية والشلل. وتكلم ابن سينا عن الأمراض الخبيثة وعن انتقال الأمراض التناسلية بالوراثة، وقد بقي هذا الكتاب «القانون» يدرس في الجامعات الأوروبية حتى نهاية القرن السابع عشر.

● ابن زهر الأشبيلي ت ١١٦١/٥٥٧، وهو طبيب أندلسي له عدة كتب منها، التيسير في المداواة والتدبير. وصف في كتبه أمراض الأمعاء وغشاء القلب، والتهابات البلعوم، والشلل وأعراض السرطان.

● ابن النفيس: ظهر في القرن السابع/الثالث عشر الميلادي، تعلم في مدارس دمشق، وتولى رئاسة المستشفى المنصوري في القاهرة. له كتب كثيرة أشهرها «الموجز»، وشرح تشريح القانون، وصف فيه الدورة الدموية الرئوية لأول مرة في تاريخ الطب، وبين أن الدم ينقى في الرئتين، وهو اكتشاف سبق أول القائلين به من الأوروبيين بثلاثة قرون.

● عمار بن علي الموصلي، عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ويعتبر من الكحالين المشهورين، وله كتاب في أمراض العيون «المنتخب في أمراض العين»، أوضح فيه طرق استخراج الماء الأزرق من العين.

وهناك مئات الأطباء ترجم لبضع مئات منهم ابن أبي اصيبعة في كتابه طبقات الأطباء، منهم، علي بن عيسى طبيب العيون الذي ظل

كتابه «تذكرة الكحالين» المرجع الأول في جامعات أوروبا حتى القرن الثاني عشر والطبيب الزهراوي.

وقد عالج بعض الأطباء كتباً عرفت بالطب النبوي، استشهد أصحابها بالأحاديث النبوية، مثل قوله (ص): «إذا وقع الطاعون في بلد وأنتم به، فلا تخرجوا منه، وإذا كان ببلد فلا تدخلوه»[1].

الصيدلة: برع المسلمون في معرفة الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية، واستنبطوا أنواعاً عديدة من العقاقير، واستخدموها في كثير من الأمراض، فعرفوا الأشربة والكحول والبنج، وقد خلفوا الأدوية أي الحبوب التي استخدمها المرضى، واستخدم الرازي الزئبق في المراهم لمعالجة الأمراض الجلدية، وجربه على الحيوانات قبل وصفه للناس.

وكان الصيادلة خاضعين منذ خلافة المأمون للامتحان، وكانت صيدلياتهم عرضة للتفتيش، ومن أشهرهم ضياء ابن البيطار الذي بحث واجبات الصيدلي، وتركيب الحبوب والمراهم والدهونات في كتاب الجامع في الأدوية المفردة، ورشيد الصوري الذي وضع كتاب الأدوية المفردة، وأبو جعفر أحمد الغافقي الذي ألف كتاب الأدوية المفردة. وقد أنشأ المسلمون مدارس الصيدلة، ومخازن الأدوية والصيدليات في المستشفيات.

الكيمياء: يكاد يكون المسلمون هم الذين ابتدعوا علم الكيمياء بوصفها علماً من العلوم، ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة، والتجارب العلمية، والعناية برصد نتائجها.

ويعتبر خالد بن يزيد بن معاوية أول من أدخل علم الكيمياء إلى العربية، حتى أنه لقب بـ «حكيم آل مروان»، وقد استعان بعدد من المترجمين لترجمة بعض الكتب إلى العربية.

واهتم الفيلسوف الكندي بعلم الكيمياء، وألف رسالة في صنع أطعمة من غير عناصرها. وعل أهم علماء المسلمين وأكثرهم شهرة في

---

(١) عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ٢٤٥.

الكيمياء جابر بن حيان الذي توفي سنة ٨١٣ م، وقد ألف عدداً من الكتب منها «الوصية» وكتاب «السموم»(١).

عنى المسلمون بعمليات الوزن الدقيق، واستنبطوا قانون تفاعل المواد لمقادير معينة من حيث الوزن، وكشفوا كثيراً من أسرار علم الكيمياء الحديثة، فعرفوا حامض الكبريتيك، واشتقوا أملاحه مثل كبريتات النحاس، وحضروا النشادر بواسطة التقطير، واستخرجوا منه كثيراً من الأملاح والأسمدة، وعرفوا خواص الأحماض والقلويات والكحول والبوريك، وابتكروا أجهزة التقطير والمزج والخلط.

واستخدم العرب الكيمياء في الطب والصناعات وعلم العقاقير وتركيب الأدوية، وتنقية المعادن، وتركيب الروائح العطرية، ودبغ الجلود، وصبغ الأقمشة.

واشتهر الرازي في الكيمياء ورفض السحر، وجاهر بأنه لا يسلم إلا بما يقبله العقل.

علم النباتات: اهتم المسلمون بالنبات كعلم، وترجموا كتبه الأجنبية، فترجموا كتاب «ديوسقوريوس» في النبات، ثم اعتمد المسلمون على الدراسة والملاحظة والتجربة، فنبغ عدد من النباتيين الذين يعتبرون بحق أساتذة العالم في هذا العلم، ومنهم رشيد الدين الصوري ت ١٢٤٨ م، وضياء الدين أبو محمد ابن البيطار الذي ساح في أسبانيا والمغرب ومصر وسوريا، وعمل في خدمة الملك الكامل الأيوبي حتى جعله رئيساً على العشابين، وكبير العطارين والصيادلة في مصر، وقد ألف عدداً من الكتب منها كتاب «المغرب» ضم ٢٣٣ فصلاً عن الأطعمة والأدوية النباتية، وقد عثر فيه على ما يزيد عن ٣٠٠ وصفاً لأدوية كانت مجهولة عند الذين تقدموه، وتناولوا هذا الموضوع.

---

(١) توفيق الطويل، مرجع سابق، ٢٣٠.

العلوم الفلسفية

الفلسفة كلمة يونانية الأصل معناها الحكمة، وفيلسوف معناها محب الحكمة. لم يعرف العرب الفلسفة إلا في العصر العباسي بعد قيام حركة الترجمة، فكان لكتب الفلسفة المتوفرة في أنطاكية وحران والاسكندرية، بالاضافة إلى تشجيع الخليفة المأمون بالحصول على المخطوطات الفلسفية الفضل في انتشار هذا العلم.

حاول العرب بعد استيعاب الفلسفة اليونانية إضافة شروح وافية لها، كما حاولوا ادخال الفلسفة اليونانية في شرح الدين الإسلامي، وجعلوها سنداً للعقيدة[1]. وقد ركز الفلاسفة المسلمون على معرفة فلسفة أرسطو طاليس وأفلاطون. ومناقشة مسألة خلق العالم، والزمن والنفس والخير والشر.

ويعتبر عبد الله بن المقفع الفارسي ت ١٤٠ هـ/٧٥٧ م أول من اعتنى بعلم الفلسفة، وترجم كتب أرسطو الفلسفية عن الفارسية كما يعتقد.

لقد أثار ادخال الفلسفة في الدين عداوة بعض رجال الدين مثل الغزالي ت ٥٠٥ هـ/١١١٢ م، وألف كتاباً ضدهم بعنوان «تهافت الفلاسفة».

اعتمدت الفلسفة الاسلامية بصورة عامة على الفلسفة الاغريقية، وخاصة أرسطو، كما اعتمدت على الأفلاطونية الحديثة، ذلك أن هذا المذهب كان قد نشأ وانتشر في الاسكندرية، وأخذ المسلمون منها ما يلائمهم، واهتموا بالتوفيق بين الفلسفة والدين.

بدأ المسلمون بنقل الفلسفة الاغريقية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وازدهرت العلوم الفلسفية بعد ذلك بين القرن الثالث والتاسع الهجري. وامتاز الفلاسفة المسلمون بايمانهم بضرورة التقدم الفكري، ومن الفلاسفة المشهورين:

---

(١) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢١٣.

- الكندي، أبو يوسف يعقوب بن اسحق، توفي عام ٢٥٧/ ٨٧٠ وهو عربي الأصل، نشأ في الكوفة، نبغ في الترجمة، فترجم عدداً من الكتب الفلسفية الاغريقية، وانتقد بعضها، وألف كثيراً من الكتب الفلسفية التي تبحث في مبادىء المنطق والعلوم الطبيعية، وقد لقب بفيلسوف العرب، وقد شجعه على دراسة الفلسفة النهضة العلمية التي كانت مزدهرة في عصره، فقد عاش في كنف المأمون والمعتصم.

  ومن كتب الكندي المشهورة كتاب التوحيد، وكتاب اثبات النبوة.

- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، توفي سنة ٣١٣ هـ/٩٢٤ م، وهو فارسي الأصل من مدينة الري،كان فيلسوفاً وطبيباً،وقد وضع الكثير من الكتب، أبرزها كتاب عن سيرة حياته، ضمنه الكثير من آرائه في الفلسفة والعلوم، وتقدم الفكر الإنساني والأخلاق والحياة عامة.

- الفارابي، أبو نصر محمد توفي سنة ٣٣٩ هـ/٩٥٠ م، وهو من خراسان، أقام في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب فترة من الزمن، درس الفلسفة في بغداد وحران، شرح جميع كتب أرسطو، لقب بفيلسوف الاسلام، والمعلم الثاني، على اعتبار أن أرسطو كان يلقب بالمعلم الأول.

  وضع عدداً من المصنفات، أشهرها آراء أهل المدينة الفاضلة، الذي تناول فيه المجتمع المثالي، وصفات رئيس المدينة. وقيل أنه كان يعرف سبعين لغة، وهو الذي تمكن من اختراع آلة القانون في الموسيقى.

- جماعة اخوان الصفا، جماعة سرية ذات نزعة شيعية، كانوا موضع عطف بني بوية في بغداد، وقد نشرت هذه الجماعة عدداً من الرسائل «٥١ رسالة» تبحث في كثير من النواحي الفلسفية، حتى أصبحت أشبه بدائرة معارف عامة، تعرضت إلى الكلام عن المنطق والطبيعيات والرياضيات.

- ابن سينا، أبو علي بن عبدالله، توفي سنة ٤٢٨ هـ/١٠٣٧ م وهو فارسي الأصل، ذاع صيته في الفلسفة والطب، قرأ العلوم ولا سيما علوم القرآن والحديث والفقه، كما درس العلوم الطبية والفلسفية. حاول التوفيق

بين فلسفته وعقيدة أهل السنة، واعتبرهما طريقين يؤديان في النهاية إلى نفس الحقيقة. ألَّف عدداً من الكتب أشهرها كتاب «الشفاء» ويتكون من ١٨ مجلداً، وهو موسوعة فلسفية كبرى، شملت المنطق والطبيعيات والالهيات، وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية ثم إلى اللغات الأوروبية.

- ابن باجة ت ٥٢٣ هـ/١١٣٨ م، فيلسوف أندلسي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري في عصر المرابطين، وقد شرح مذاهب أرسطو. وله كتاب تدبير الموحد تـرجم إلى اللغة اللاتينية.

- ابن طفيل ت ٥٨١ هـ/١١٨٥ م، عاش في غرناطة في عصر الموحدين في النصف الثاني من القرن السادس الهجري،وكان طبيباً. اشتهر في الفلسفة، ولا سيما كتابه حي بن يقظان الذي عرض فيه حياة رجل وجد منذ نعومة أظفاره في جزيرة نائية، وقد عاش مع الحيوانات، وأرضعته ظبية إلى أن كبر، واستطاع بقوة عقله أن يهتدي إلى معرفة الله وخلود النفس. والقصة خيالية أراد بها ابن طفيل أن يبين أن حقيقة الله تعرف بالفطرة دون تعليم.

  وقد شرح ابن طفيل الأفلاطونية الحديثة بصورة اسلامية.

- ابن رشد ت ٥٩٥ هـ/١١٩٨ م، عاش في كنف أمراء الموحدين. ويعتبر من أشهر فلاسفة الأندلس، وهو تلميذ ابن طفيل، وشرح كتب أرسطو، ورد على الغزالي بكتاب تهافت التهافت.

  اتهم بالزندقة لكثرة أبحاثه العقلية، لذلك أحرق أمير الموحدين كتبه الفلسفية.

هذا وقد ترجم الأوروبيون كتب الفلاسفة المسلمين إلى اللاتينية، ولا سيما كتب الفارابي، وابن سينا وابن طفيل وابن رشد، والرازي، ووضعوا لها الشروح.

يتفق علم الفلسفة والكلام في أن كلًّا منهما يبحث عن الحقيقة مستخدماً العقل. ومتبعاً طرق القياس والاجتهاد والاستنتاج، ويختلفان في نطاق البحث، فعلم الكلام يعمل ضمن دائرة الشريعة فقط، بينما تبحث

الفلسفة في مظاهر الكون، وتتعرض لمشاكل الفكر أنّى وجدت. والكلام يقوم على الوحي ويستمدُّ مبادئه من الشرع، ويحاول أن يستخدم البرهان لتأييد الايمان. أما الفلسفة فتقوم على النظر المجرد، وتسترشد بالاستدلال البرهاني، وتثق بما يثبته العقل فقط، فالفيلسوف لا يؤمن بصحة شيء إلا بعد أن يقدم العقل الدليل القاطع على صحته.

العلوم الاجتماعية

تطورت العلوم الاجتماعية في العصور الاسلامية، وشملت التاريخ والجغرافية والفلك وعلم الاجتماع.

التاريخ:

تناقل العرب كثيراً من أخبارهم، وأخبار الأمم المجاورة كالفرس والرومان والهنود وغيرهم، إلا أن هذه الأخبار كانت تختلط ببعض الأساطير، وكان للإسلام أثر كبير في تطوير التاريخ وتدوينه، وذلك لارتباطه بجمع القرآن وتفسيره، وجمع الحديث؛ إذ احتاجوا إلى تحقيق الأماكن والأحوال التي نزلت فيها الآيات أو قيلت فيها الأحاديث؛ كما أن اختلاف المسلمين في تقدير الخراج على البلاد المفتوحة، وهل فتحت تلك البلاد عنوة أو صلحاً، هو عامل آخر دفع المسلمين إلى تدوين أخبار الفتوح؛ أي تدوين تاريخ الفتوحات الإسلامية.

والعرب المسلمون أول من بحث في أسباب الحوادث ونتائجها، قبل الأوروبيين بقرون عديدة، وقد اعتبر ابن خلدون في مقدمته التاريخ علماً جديداً لا رواية، وأنه استعمل التحقيق والبحث العلمي، وتحليل الأسباب عند بحثه في أية حادثة تاريخية، وقد اعتبر المؤرخون المحدثون «مقدمة ابن خلدون» أول محاولة علمية لتفسير التاريخ تفسيراً فلسفياً، فيه الكثير من الدروس والعبر والمواعظ، وربط الأسباب بمسبباتها.

بدأ تدوين التاريخ يتطور، فكان أول من دون سيرة الرسول (ص) هو محمد بن اسحق (توفي ١٥١ هـ)، وأقدم ما وصل إلينا منها كتاب سيرة ابن

هشام عام ٢٨٨هـ، وقد استمد ابن هشام معلوماته من محمد بن اسحق، ومع الزمن تشعبت فروع التاريخ فشملت كتب التاريخ من حيث ترتيبها إلى:

أ - الحوليات: وهي ذكر الحوادث سنة بعد سنة. فلكي نستقصي أخبار حادثة وقعت في عدة سنين، يجب العودة إلى السنين التي وقعت فيها.

ب - التاريخ المتسلسل: وهو كما نجده في كتب التاريخ المعاصرة، إذ يتحدث عن تاريخ الدولة، أو الحادثة ويسردها إلى أن ينتهي منها، ثم ينتقل إلى غيرها.

وتقسم الكتب التاريخية حسب الموضوع إلى:

أ - كتب السيرة: تبحث هذه الكتب في سيرة الرسول (ص)، وأخبار الصحابة والتابعين والمجاهدين، ومن أشهرها سيرة ابن هشام، وكتاب الطبقات لابن سعد، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.

ب - كتب الانساب: تهتم بانساب العرب وأصولهم، وقد كان للعرب ولع خاص بهذا العلم، نظراً للعصبية القبلية التي كانت متأصلة فيهم، قبل الإسلام، ومن هذه الكتب جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي.

جـ - كتب التراجم: تتناول هذه الكتب تراجم أهل العلم والمعرفة في المواضيع المختلفة كالعلوم والأدب والقصّة، ومن هذه الكتب معجم الأدباء لياقوت الحموي، ووفيات الأعيان لابن خلكان.

د - كتب الوقائع والحروب: تختص هذه الكتب بالفتوحات الاسلامية، مثل فتوح البلدان للبلاذري، وفتوح الشام للواقدي.

هـ - تاريخ البلدان: وتتحدث هذه الكتب عن المدن والولايات، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، والخطط للمقريزي.

و - كتب التاريخ العام، وتبحث في التاريخ العام، ومعظمها يبدأ من بدء الخليقة، وينتهي بعصر المؤرخ. ومن الكتب المشهورة في هذا الميدان تاريخ الأمم والملوك للطبري، وهو يرتب الحوادث حسب السنين، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وتاريخ ابن خلدون.

علم الاجتماع:

يعنى علم الاجتماع بدراسة أحوال الجماعات والشعوب في أساليب معاشها وأعيادها، وفي كتب الرحلات والمجموعات التاريخية والجغرافية، معلومات كثيرة عن هذه النواحي، فقد وصف ابن بطوطة في رحلته ما شهده من عادات الشعوب التي زار بلادها.. وكتب ابن خلدون (٧٣٢ هـ ـ ٨٠٨ هـ) في مقدمته عن أحوال المجتمعات البشرية، ومفهوم الحضارة، ومراحل تطور الحضارة وحياة الدول.

الجغرافيا:

كانت معرفة العرب قبل الإسلام عن الجغرافية محدودة، إلا أن المسلمين اقتبسوا كلمة الجغرافية عن اليونان في عصر الترجمة، وازداد اهتمام المسلمين بعلم الجغرافية للأسباب التالية:

١ ـ معرفة البلاد التي فتحها العرب، وحالة سكانها الاجتماعية لتنظيم إدارة هذه البلاد.

٢ ـ معرفة العرب الطرق التجارية عبر الولايات الاسلامية المختلفة، وإلى الدول المجاورة، ومعرفة الطرق المؤدية إلى الحجاز لأداء فريضة الحج.

٣ ـ الرحلة في طلب العلم، حيث هاجر بعض الصحابة للتأكد والتحقق من صحة بعض الأحاديث.

٤ ـ اطلاع العرب على كتب الجغرافية للأمم السابقة بعد ترجمتها، كاطلاعهم على كتاب بطليموس في الجغرافيا.

أخذ علماء العرب يدرسون هذا العلم بعمق، وصححوا كثيراً من معلومات سابقيهم، ووصفوا البلدان الاسلامية وغيرها، وحالتهم الاجتماعية، وقد دفع العرب شغفهم لتحري الحقيقة العلمية، إلى الرحلة إلى مختلف البلدان، وكان من نتيجة الأسفار لمعرفة أحوال البلدان، أن ظهر عندهم علم مسالك البلدان، وقد قام المسعودي برحلات إلى أفريقيا والسودان وآسية الصغرى وبحر قزوين، وسجل وصفه للأماكن في كتاب مروج الذهب، كما سجل ابن جبير رحلاته إلى الشرق في كتاب خاص.

وتطورت المعلومات الجغرافية بسبب الرحلات التي قام بها الرحالة المسلمون، ولأنهم رسموا خرائط أوضحوا فيها حدود الأقاليم، وأشاروا فيها للمدن الهامة.

وقد صنفت المؤلفات الجغرافية عند العرب المسلمين وفقاً لمواضيعها وهي:

أ - كتب الرحلات: وتبحث في الرحلات التي قام بها الرحالة، مثل رحلة ابن جبير، ورحلة ابن بطوطة وغيرها.

ب - المعاجم الجغرافية، وهي المعاجم التي تذكر أسماء البلاد، ومواقعها وفقاً للحروف الأبجدية، مثل معجم البلدان لياقوت الحموي.

جـ - كتب الجغرافية الاقليمية: تتناول هذه الكتب بعض الأقاليم بالدراسة فتصف أماكنها، ومدنها، وتذكر أخبارها، مثل كتاب الآثار للمقريزي الذي يتحدث عن جغرافية مصر.

د - كتب الجغرافية العامة. وتختص بدراسة جغرافية العالم المعروف آنذاك بما في ذلك العالم الإسلامي، مثل كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي، وقد رسم الادريسي خريطة العالم، كما صنع كرة من الفضة تمثل الكرة الأرضية لروجر ملك صقلية.

هـ - كتب الجغرافية البحرية: تحدثت هذه الكتب عن جغرافية البحار، من حيث الأنواء والرياح، والأمواج، والمد والجزر، وأثر ذلك على الملاحة. وقد اشتهر عدد من الملاحين الذين وضعوا العديد من المصنفات في هذا الميدان، منهم ابن ماجد الذي وضع أكثر من خمسين كتاباً في الجغرافية البحرية والملاحة، والذي عرف في أواخر القرن الخامس عشر كمرشد لاكتشافات فاسكو دي غاما لطريق الهند.

ومنذ القرن الأول للهجرة/القرن الثامن للميلاد اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض، وعرفوا منذ ذلك الحين الخرائط وقراءتها. فيروى أنه لما غزا قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة بخارى صعب عليه فتحها، فكتب بذلك إلى الحجاج والي العراق، فكتب إليه الحجاج يطلب منه أن يصورها، أيّ يرسم خارطتها وما حولها، ويرسل صورتها إليه، وقد أشار الحجاج على

قتيبة بطريقة فتحها سنة ٩٠ هـ. وقد أحصى «ميللر» الخرائط التي رسمها المسلمون للعالم الإسلامي فوجدها ٢٧٥ خارطة، باستثناء خرائط الادريسي التي وصفها «ميللر» بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة، ذات أثر كبير في تصوير الدنيا للأوروبيين، ولا سيما شكل الكرة الفضية التي كان قطرها متران وجعلها تقرب من وصفها العلمي الصحيح الذي هي عليه اليوم(١).

وبقي أن نؤكد أن اتباع المنهج التجريبي في البحث والتنقيب وصولاً إلى المعلومات الجغرافية السليمة، كان يعتمد على الملاحظة والمشاهدة، واستخلاص النتائج في صور حقائق علمية جديدة.

العلوم الدينية

وتشمل علوم القرآن والحديث والفقه وعلم الكلام.

علوم القرآن:

اهتم المسلمون بعلوم القرآن، فتنافس الصحابة في حفظ الآيات ومعرفة أسباب نزولها. وقد تم جمع القرآن وترتيب سوره في عهد الخليفة عثمان. وبعد انتشار الاسلام في الأمصار المختلفة، ظهر علم قراءة القرآن، والتفسير لحاجة المسلمين إليهما.

أ ـ علم قراءة القرآن:

يعتبر علم القراءات المرحلة الأولى لتفسير القرآن، وهذا العلم يدور حول قراءة نصوص القرآن، لاختلاف بعض المسلمين في قراءة آياته بعد الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي، فقام الخليفة عثمان بنسخ القرآن وتوزيعه على الأمصار في الكوفة والبصرة والشام ومصر والمدينة، حتى لا يختلف المسلمون في قراءاتهم لنصوص القرآن الكريم.

تباينت تلاوة القرآن، فظهرت عدة أساليب لتلاوته، واشتهرت منها سبع قراءات منسوبة إلى سبعة من أشهر القراء، (وما زالت هذه القراءات

---

(١) د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ١٢٠.

سائدة في العالم الإسلامي) وهي:

- قراءة بن كثير ت ٧٣٧ وهو من أهل مكة المكرمة.
- قراءة بن عامر ت ٧٣٦ وهو من أهل دمشق.
- قراءة عاصم ت ٧٤٤ وهو من أهل الكوفة.
- قراءة حمزة ت ٧٧٢ وهو من أهل الكوفة.
- قراءة ابن عمرو ت ٧٧٥ وهو من أهل البصرة.
- قراءة نافع ت ٧٨٥ وهو من أهل المدينة المنورة.
- قراءة الكسائي ت ٨٠٤ وهو من أهل الكوفة.

وقد أصبحت هذه القراءات أصولاً للقراءة، وترجع هذه القراءات إلى شخص موثوق به عاش في القرن الأول الهجري مثل ابن عباس، وعثمان، وابنه أبان، وعائشة.

تدوين المصحف:

نزل القرآن تدريجياً آية آية، خلال بضع وعشرين سنة، وذلك حسب الحاجة إلى الآية. وكان الصحابة يكتبون هذه الآيات على سعف النخيل والرقاع وعظام ألواح الغنم، والابل.

وبعد وفاة الرسول وقيام حروب الردة ومقتل أكثر القراء وخاصة يوم اليمامة، هال هذا الأمر عمر بن الخطاب، فقال لأبي بكر «أن القتل قد كثر واستمر بقراء القرآن يوم اليمامة، وأني أخشى أن يستمر القتل بالقراء فيذهب من القرآن الكثير، وأني أرى أن تأمر بجمع القرآن» فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع وصدور الرجال، فكان هذا أول جمع للقرآن، وحفظ عند حفصة بنت عمر.

وقد لاحظ حذيفة بن اليمان قائد عثمان في غزو أذربيجان اختلاف المسلمين في قراءة القرآن، فأشار على عثمان بتدوين مصحف يقرأه المسلمون جميعاً، فأحضر عثمان المصحف من عند حفصه، وأمر بنسخ عدد من النسخ، وقام بالمهمة، زيد بن ثابت، وعبد الله الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن حارث، وأمرهم أن يكتبوا ما يختلفون فيه بلغة

قريش، وهذا هو الجمع الثاني للقرآن. والأسباب التي جعلت الخلفاء يكلفون زيد بن ثابت بجمع المصحف لأنه:

أ ـ من كتاب الوحي.
ب ـ جمع القرآن كله في عهد الرسول (ص).
جـ ـ كانت قراءته على آخر عرضة عرضها النبي (ص) على جبريل.

ثم أمر عثمان باحراق المصاحف الأخرى، ووزع على كل ولاية نسخة معتمدة، وهكذا كان هدف جمع القرآن في المرة الأولى حفظ القرآن من الضياع، وهدف جمعه في المرة الثانية هو جمع الناس على وجه واحد في قراءة القرآن خشية وقوعهم في الخلاف، الذي مصدره التحريف من زيادة ونقصان، خاصة وأن العرب قد اختلطوا بغيرهم من أهل البلاد المفتوحة، الذين اختلفت لغاتهم، وتباينت لهجاتهم.

ب ـ التفسير:

نزل القرآن بلغة العرب، إلا أنهم كانوا متفاوتين في درجة استيعابهم لمفردات اللغة وتركيبها، وكانوا يعتمدون في فهم القرآن على الرسول الكريم، وعندما دخل الإسلام فيما بعد كثير من غير العرب، احتاجوا إلى من يفسر لهم معاني القرآن ليدركوا معناها، فنشأ علم التفسير، وقد اعتمد على:

أ ـ النقل: وهو ما تناقله الناس عن الرسول (ص) من تفسير لبعض الآيات، وقد تحرى العلماء الرواية الصحيحة.

ب ـ الاجتهاد: وهو محاولة تفسير الآيات حسب معانيها، معتمدين على دراسة الشعر وأسباب نزول الآية، وقد عبر كثير عن معنى الآيات التي لم يرد فيها نص عن الرسول. اعتماداً على الاجتهاد.

جـ ـ الكتب السماوية: تعرض القرآن الكريم إلى قصص الأنبياء وحوادث الأمم البائدة باختصار، فمال الناس إلى استقصاء هذه الحوادث وشرح دقائقها (كأصحاب الكهف مثلاً)، فأخذوا ما ورد في التوراة أو الانجيل عن هذه القصص، وكان لوهب بن منبه وهو يهودي أسلم، كثير من التفاسير التي اعتمدت على التوراة والانجيل.

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري وغيرهم. أما أشهر من وضعوا مؤلفات في التفسير وبقيت مؤلفاتهم:

- الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن.
- البغوي: معالم التنزيل، النرمحشري الكشاف. والرازي «مفاتيح الغيب، والبيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، وجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي «تفسير الجلالين».

الحديث:

هو ما ورد عن الرسول (ص) من قول أو فعل أو تقرير، ويعتبر علم الحديث من أهم العلوم الدينية عند المسلمين، فقد روي عنه (ص) أنه قال: «تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وسنة نبيه». وهكذا ارتبط الحديث بالقرآن الكريم.

خشي الصحابة الأوائل أن يجمعوا الحديث في كتاب واحد، فينشغل الناس عن القرآن، وكان لعدم تدوين الحديث في عهد مبكر، أن استباح قوم لانفسهم وضع أحاديث، ونسبوها إلى الرسول لترهيبهم من الحرام أو التقرب من ذوي النفوذ، كما حاول بعض الزنادقة والملاحدة إفساد الدين الإسلامي بوضع أحاديث مزورة على لسان الرسول (ص).

مضى القرن الأول من الهجرة، ولم يدون من الحديث إلا قليل، دوّنه أفراد لأنفسهم حتى لا ينسوه، وعندما اتسعت الدولة الاسلامية وكثرت الأحاديث المروية عن الرسول (ص)، أصبح من الضروري التأكد من صحتها، ولذا كان لا بد من ذكر سلسلة الرواة الذين قاموا بنقل الحديث، وقد عرفت سلسلة الرواة باسم السند أو الاسناد، بينما عرف نص الحديث باسم المتن، كما بدأ المسلمون بجمع الحديث، ومعرفة الحديث الصحيح.

شهد القرن الثاني والثالث الهجري نشاطاً كبيراً في جمع الأحاديث، على أساس مدى صدق رواتها، اعتماداً على الاسناد أي الرجوع إلى المصدر الأول الذي أخذ عنه الحديث، وبهذا جمعت مصنفات كثيرة في

الحديث، صنفت حسب المواضيع التي تتصل بها، وخصصت أبواب المواضيع شملت الايمان، والعبادات، والمعاملات والعلم... إلخ.

وكان للنساء دور مهم في الحديث، فقد اشتغلن بدرسه، وروايته، وحصلن على إجازات للتدريس، وقد تفوقت بعضهن مثل أم المؤمنين عائشة، فكان لها حظ وافر في الرواية، وقد برزت في العصر العباسي كريمة بنت أحمد، وكان العلماء الأفاضل يحضرون دروسها، منهم الخطيب البغدادي المؤرخ المعروف (٦٤٣/١٠٧١).

اجتهد العلماء في جمع الحديث، وقاموا برحلات كثيرة بين أواسط آسيا والأندلس، ينتقلون من بلدة لأخرى لا غرض لهم إلا سماع الحديث أو الاصغاء إلى المحدثين. فكانت أهمية الرحلة في طلب العلم بالغة الأهمية.

أسباب جمع الحديث:

- اهتمام المسلمين بالحديث لتوضيح حياة الرسول (ص) وسنته، ونشرها بين الناس، ولتنظيم الحياة في مختلف نواحيها.
- كثرة الحديث ورغبة المحدثين في استقصاء الأحاديث الصحيحة.
- عناية العباسيين بالسنة تركت أثراً واضحاً في تنشيط الحركة التي كانت ترمي إلى جمع الحديث وتدوينه.
- ظهور مدرستين للفقه إحداهما في العراق، والأخرى في الحجاز، ورغبة هاتين المدرستين بتنظيم مادة الحديث وتدوينها.

كتب الحديث:

ألف عدد من العلماء مجموعات عديدة للحديث، رتبت محتوياتها وفق أسماء الصحابة الذين تسند إليهم، بصرف النظر عن موضوع الحديث، منها:

مسند أحمد بن حنبل الذي يحوي نحو ٣٠٠٠٠ حديث مأخوذ عن ٧٠٠ صحابي، ويحتوي هذا المسند على أحاديث كثيرة لا توجد في غيره.

وقد صنفت الأحاديث حسب المواضيع وأبرز هذه المصنفات:

- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري المتوفي ٢٥٦/ ٨٧٥.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، المتوفي ٢٦١/ ٨٧٩.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، المتوفي ٢٧٩/٨٩٢.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، المتوفي ٢٧٤/ ٨٨٦.
- سنن أبو داود السجستاني، المتوفي ٢٧٥/٨٨٨.
- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن النسائي المتوفي ٣٠٣/٩١٥.

ولمصنفي البخاري ومسلم منزلة خاصة، فهما أكثر الكتب انتشاراً حتى أصبح أصحابهما يعرفان بالشيخين، فيقال رواه الشيخان في صحيحيهما.

علم الجرح والتعديل:

حرص العلماء على غربلة الأحاديث لمعرفة الصحيح منها، فاهتموا بدراسة سلسلة الرواة «المسند»، وقد اشترطوا بأن يكون الراوي تقياً، صادقاً، ثقة، فمن انطبقت عليه هذه الشروط أخذوا عنه، واعتبروه عدلاً، ومن ظهر في حياته ما يخالف هذه الصفات ترددوا في قبول روايته، واعتبروه مجروحاً، ومن هنا ظهر علم الجرح والتعديل. وارتبط بهذا العلم علم تراجم الرجال، والرحلة في طلب العلم، ومن المؤلفين المشهورين في علم الجرح والتعديل، الترمذي، وابن حجر، وابن أبي حاتم الرازي.

علم الفقه:

هو العلم الذي يبحث في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها «الكتاب، والسنة، والقياس، والاجماع». ارتبط علم الفقه بقضايا الناس، فكان الخلفاء الراشدون يحلون هذه المشاكل في المدينة، وعندما اتسعت الدولة الاسلامية احتاج المسلمون إلى تنظيم حياة الناس، وعلاقاتهم في البيئة الجديدة.

اعتمد الناس في حل مشاكلهم على كبار العلماء في الدين، كمالك ابن أنس وأخذ كثير من المجتهدين العلماء يكون أسلوباً في حل هذه القضايا، فظهرت المذاهب ومن أشهرها:

أ ـ المذهب الحنفي نسبة إلى الامام أبي حنيفة النعمان ت١٥٠/٧٦٧.وقد نشأ المذهب في الكوفة، وانتشر في العراق والشام وآسية الصغرى، وكان مذهب الحكومة العثمانية الرسمي.

ب ـ المذهب المالكي نسبة إلى الإمام مالك بن أنس ت(١٧٩/٧٩٥)، صاحب كتاب الموطأ، واتباع هذا المذهب ينتشرون في السودان وشمال أفريقيا.

جـ ـ المذهب الشافعي نسبة إلى محمد بن ادريس الشافعي ت ٢٠٤/٨٢٠ ويكثر مذهبه في مصر وأندونيسيا.

د ـ المذهب الحنبلي، نسبة إلى الامام أحمد بن حنبل ت (٢٤٠/٨٥٥) ومن اتباعه تقي الدين بن تيمية، وينتشر في نجد والحجاز.

وقد اعتمد أصحاب المذاهب في استقاء أحكامهم من مصادر التشريع الإسلامي الأربعة: الكتاب والسنة والقياس والاجماع، فأخذ مالك بطريقة أصل الحديث، وأخذ أبو حنيفة بطريقة الرأي والقياس، وأخذ أحمد بن حنبل بالكتاب، أما الشافعي فكان وسطاً بين الحديث والقياس وبهذا ظهرت مدرستان للفقه، مدرسة أهل الحديث في المدينة، ومدرسة أهل الرأي في العراق.

واليوم يتبع المسلمون السنيون أحد المذاهب الأربعة السابقة، ويعتمدون في أحكامهم الشرعية على أحد هذه المذاهب، ولكن جميع هذه المذاهب تستنبط أحكامها من مصادر الشريعة الإسلامية، ولا خلاف بينهم في الجوهر.

علم الكلام:

وهو العلم الذي يبحث في طرق النقاش والجدل. وقد نشأ هذا العلم لحاجة المسلمين في فهم مبادىء الإسلام، وتوضيحها والدفاع عنها أمام الخصوم. ويرتبط هذا العلم بظهور الخوارج والشيعة.

تطور علم الكلام على يد المعتزلة، الذين أصبح لهم آراء تختلف عن

آراء أهل السنة، وسمـوا بالمعتزلة لاعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، وكان الخليفة المأمون من أعلام هذه الجماعة.

ومن أبرز خصوم المعتزلة الإمام أبو حامد الغزالي والإمام الأشعري.

الفصل السادس

المظهر العمراني وتطور المدن

المظهر العمراني وتطور المدن

كانت الأبنية في بلاد العرب الوسطى قبل الإسلام ساذجة، فكانت عامة دور مكة من طابق واحد، وباللبن، وقليل منها بالحجارة.

ولما اتسعت الفتوح الإسلامية بنى طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام دوراً متسعة فخمة من الحجارة والرخام في المدينة، ووكلوا أمر بنائها إلى المهرة من الفرس والروم.

وقد هدم عثمان رضي الله عنه مسجد النبي (ص)، وأعاد بناءه بالحجارة والرخام، كما بنى داره الفخمة بالمدينة، وشيدها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر[1].

وهكذا أخذت العمارة عند العرب المسلمين في الترقي، وقد استفادوا من خبرة الفرس في البناء، ثم تفوقوا عليهم، واتخذوا طرازاً للبناء خاصاً بهم مع الزمن، فاق الطرازين الفارسي والبيزنطي من حيث الابداع وجمال التنسيق والاتقان[2].

وقد حفظ لنا التاريخ الكثير من وصف قصور المسلمين البديعة، وصروحهم الشاهقة.

مظاهر طراز العمارة:

١ ـ اتخاذ الأعمدة والقباب والشرفات والمشربيات، (نوافذ سدت بستائر

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١/٤٣٤.

(٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ٢/٢٠٣.

شبكية من الخشب) والمآذن، وبعض هذه المظاهر مستوحى من البيئة العربية.

٢ ـ احاطة المدن بأسوار منيعة، وأبواب متينة يمكن إغلاقها عند الحاجة.

٣ ـ بناء المسجد في وسط المدينة.

٤ ـ تخصيص سوق خاص لكل حرفة يعرف باسمها، وتخصيص حي لكل قبيلة.

٥ ـ كانت البيوت تبنى داخل ساحة الدار، وليس لها نوافذ تطل على الشارع.

٦ ـ كانت الزخارف مستمدة من المناظر الطبيعية، والنباتات والأشكال الهندسية، وتحاشوا الصور المجسمة والتماثيل، لأنها محرمة، حتى لا تتشبه بعبدة الأوثان.

إن خصائص الفن العربي تبدو واضحة في فن البناء وتتمثل في:

- المساجد ومحاربيها وفي مآذنها وعقودها.
- القصور والدور.
- المدارس وأوانيها وأروقتها ومرافقها العامة.
- العمارات المختلفة كالربط والمارستانات والقناطر والجسور والبرك والحمامات وما شاكلها.

ويمكن أن نلخص خصائص الفن العربي في الريازة [البناء] بما يلي:

- المقرنصات: وهي الدلايات التي تشبه خلايا النحل، أو الحجر الطبيعي الذي يتكون في الكهوف على هيئة أعمدة مدلاة، غير منتظمة، تتكون بفعل الرشح الذي تحدثه المياه المحملة بالأملاح الجيرية. والمقرنصات يتدلى بعضها فوق بعض من واجهات العمارة.

- القبب: وهي إما بيضية الشكل أو بصلية، وكانت سطوحها تزين بالقاشاني الأخضر، ولذلك اطلق عليها اسم «الخضراء» كخضراء معاوية في دمشق، وخضراء الحجاج في واسط.

- شرفات الأبنية التي تشبه أسنان المشط.
- الأقواس، وكانت مستديرة على هيأة حذوة الفرس أو مدببة(١).
- العقود، أو الأقواس المتعددة مثل أقواس قصور قرطبة.
- المآذن في الجوامع، وتعتبر مأذنة مسجد القيروان أقدم مئذنة قائمة(٢).
- الزخارف المختلفة، وهي إما على شكل زخارف هندسية أو نباتية، وكان يركب على الشبابيك زجاج ملون.

المظهر العمراني

١ - المدن

بنى العرب مدناً عديدة في عصور مختلفة، لأغراض متنوعة، ومن أشهرها، الكوفة والبصرة والفسطاط في عصر الراشدين، والقيروان وواسط في عهد الأمويين، وبغداد وسامراء في زمن العباسيين.

عوامل بناء المدن

دفعت عوامل عديدة العرب إلى بناء المدن منها:

- اتخاذها معسكرات وحصوناً لجيوشهم في بداية الفتوحات الإسلامية، أي دور تأسيس الدولة الإسلامية، مثل الكوفة والبصرة في العراق، والفسطاط في مصر.
- اتخاذها عواصم للدولة أو مراكز للولايات مثل واسط وبغداد وسامراء.
- جعلها مراكز للدفاع عن الحدود الإسلامية(٣)، وقد أطلق على هذا النوع من المدن «الثغور»، وكانت تتمركز بين بلاد الهلال الخصيب وبلاد الروم.

---

(١) عبدالمنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ٢٥٩.
(٢) سير توماس أرنولد، تراث العرب، ٢٣٨.
(٣) د. محمد عبدالستار عثمان المدينة الاسلامية ١٤٧.

- اتخاذها مراكز للنزهة، وطلب الراحة، مثل الرملة في فلسطين، والزهراء في الأندلس.

اختيار موقع المدن وتخطيطها

كانت المدن عادة تنشأ على أطراف البادية، وكان لا يفصل بينها وبين العاصمة «المدينة المنورة» ماء، نهراً كان أو بحراً، وذلك لحماية ظهر المسلمين بالصحراء، ولاتخاذ الصحراء خطاً لرجعتهم عند اضطرارهم إلى الانسحاب. ولهذا لم يحيطوا هذه المدن بالأسوار المنيعة أو القلاع الحصينة.

وكان المسلمون يحاولون أن يكون المكان المختار لإقامة المدينة فيه صحياً، خالياً من الحشرات، غير موبوء، ولا وخم الهواء، وأن تكون مناظرة عموماً مما ترتاح لها النفس، وتطيب فيه الاقامة.

كان المسلمون يعمدون إلى شيء من التنظيم، والتنسيق الهندسي لبناء المدينة، فكانوا إذا اختطوها، بدأوا أولاً بالمسجد فجعلوه في مركز المدينة (وسطها)، وجعلوا حوله فراغاً، تبدأ منه الطرق العامة، وإليه تفضي الشوارع. وإلى جانب المسجد تماماً كانت تقام دار الامارة.

وفي العصر العباسي كان المسلمون يتخيرون أولاً مكان القصر، وإلى جانبه أو على مسافة منه المسجد الجامع، ثم يلي دور الأمراء وأبناء الخلفاء، ودواوين الحكومة ثم دور الناس ومنازلهم. وكانوا يعنون عناية خاصة باختيار أماكن الأسواق، وترتيبها داخل المدينة، وتصنيفها بحسب ما يباع فيها من السلع، بحيث يكون لكل سوق فيها مكان خاص ضمن تخطيط المدينة.

أما المدن التي كانت تنشأ للنزهة وطلب الراحة، فقد أكثروا فيها من الحدائق والمتنزهات والبرك، وساحات سباق الخيل، والقصور الواسعة لتسبغ على المدينة جمالاً وروعة.

المدن الاسلامية

قامت عدد من المدن الإسلامية في العصور المختلفة للأغراض

العسكرية والمدنية، ولا سيما في العصور التالية:

أ ـ العصر الراشدي

بنى المسلمون عدة معسكرات في خلافة عمر بن الخطاب أصبحت من المدن المشهورة وهي:

- البصرة: بناها الصحابي عُتْبَة بن غزوان سنة ١٤/ ٦٣٥غربي شط العرب في العراق[١] فاختط المسجد الجامع، ثم دار الامارة، ثم المنازل، واشتهرت بكثرة مساجدها، ومتنزهاتها وحماماتها.
- الكوفة: اختطها أبو الهيَّاج عمرو بن مالك سنة ٦٣٨/١٧ في مكان مرتفع، اختاره سعد بن وقاص غربي نهر الفرات في العراق، وكان المسجد الجامع في الوسط، وإلى جانبه دار الامارة، وجعل ما حولهما فراغاً كالميدان، ثم اختط الناس منازلهم، مكان الجانب الأيسر لأهل اليمن، والجانب الغربي لقبيلة نزار، وعرف كل حي بمن نزله من العرب.
- الفسطاط: بناها عمرو بن العاص شرق النيل في مصر سنة ٦٤١/٢١، وجعل مسجده الجامع مركز الدفيلة[٢]،ثم اختط امامه منزل الامارة، ثم اختط الزعماء والقبائل دورهم حول المسجد، وتطورت المدينة فأقيم حصن للدفاع عن المدينة على الضفة المقابلة، فنشأت الجيزة، وبذلك أصبحت الفسطاط مركز الامارة، والقاعدة العسكرية للسيطرة على البلاد المفتوحة، وظلت كذلك حتى منتصف القرن الرابع الهجري حين أسست القاهرة سنة ٣٥٧ هـ.

ب ـ العصر الأموي

شيد المسلمون في هذا العهد المدينتين التاليتين:

- القيروان: بناها عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ على طرف الصحراء في تونس، لتكون قاعدة للجيوش العربية، وميداناً للحركات العسكرية،

---

(١) د. محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ٦٥.

(٢) د. مصطفى أبو ضيف أحمد، دراسات في تاريخ العرب، ١٣٧.

ومستودعاً للعتاد، ليتمكن من اخضاع البربر، وليكون المسلمون في حرز من الهجمات البيزنطية.من ناحية الساحل، اختط عقبة المسجد ثم قصر الامارة، ومن حولهما مساكن الجنود، وسوراً يدور عليها.

● واسط: بناها الحجاج بـن يوسف الثقفي سنة ٧٠٢/٨٣ على ضفتي دجلة في مكان وسط بين الكوفة والبصرة والأهواز، بناها لجنوده الشاميين ليفصلهم عن أهل العراق، ويتحاشى الاختلاط بهم، وليتمكن من القضاء على الفتن التي طالما أثارها أهل الكوفة والبصرة. اختط أولاً المسجد، وإلى جانبه دار الامارة، ثم سجنه الكبير المعروف بالديماس، ثم المنازل، ولم يسمح لغير الشاميين السكنى فيها[١]، ثم احاطها بسور.

جـ- العصر العباسي

أقام العباسيون مدينتي بغداد وسامراء:

● بغداد: بناها الخليفة المنصور سنة ٧٦٢/١٤٥ على دجلة، وجعلها مستديرة، ودام البناء فيها خمس سنوات، واشتغل فيها نحو مئة ألف عامل.

خط المنصور قصره أولاً ثم المسجد، ثم ساحة، ثم المنازل، وجعل لها سورين، وأربعة أبواب ليسهل حمايتها[٢].

● سامراء: بناها الخليفة المعتصم سنة ٢٢١ على ضفة دجلة الشرقية، على بعد ١٢٠ كم شمال بغداد، لتكون معسكراً لجيشه من الأتراك، وقد اختط المسجد الجامع أولاً ثم القصر، ومن حوله دواوين الحكومة. واختط السوق[٣]، وجعل لكل تجارة فيها محلاً خاصاً، وجعل أهل كل مهنة لا يختلطون بغيرهم، وقد عنى الخلفاء بإنشاء البرك والميادين في قصور سامراء، وأصبحت سامراء عاصمة الدولة حوالي خمسين سنة قبل أن تعود بغداد العاصمة مرة ثانية.

---

(١) محمد عبدالستار عثمان، مرجع سابق ١٥٥.

(٢) نفس المرجع السابق، ٢٥٦.

٢ ـ المساجد

كانت المساجد مركز الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية،بالاضافة إلى الناحية الدينية.

بنى الرسول (ص) وأصحابه مسجد المدينة بطول ١٠٠ ذراع باللبن، وكانت أعمدته من جذوع النخيل،وسقفه من الجريد، وقد وسع المسجد أيام عمر بن الخطاب، وفي عهد الوليد بن عبدالملك، أعيد بناء مسجد المدينة. ويعتبر مسجد المدينة البسيط الذي بناه الرسول (ص) مثلاً محتذى للمساجد الأخرى(١).

وكان نظام المساجد الإسلامية الأولى أن يكون طول بيت الصلاة بين الشرق والغرب، وعرضة بين الجنوب والشمال، لأن نظام الصلاة يستلزم أن تمتد صفوف المسلمين إلى يمين الإمام ويساره أكثر من امتدادها خلفه، ويطلق على هذا الجزء من المسجد المصلى، وهو القسم المسقوف من المسجد.

وكان للمساجد الأولى مآذن، وكان لأكثر المساجد الجامعة مئذنة واحدة تكون في منتصف القبلة الشمالية داخل المسجد،كما في المسجد الأموي بدمشق وجامع القيروان، وكانت مئذنة جامع سامراء على شكل حلزوني.

وكانت المساجد تزداد في البلاد الإسلامية تبعاً لزيادة المسلمين، وكانت تعتبر من العمائر الجميلة في المدن، تزينها مآذنها الشاهقة، ومنابرها المزخرفة ومحاريبها ونافوراتها.

ومن أشهر المساجد التاريخية التي لا تزال باقية حتى اليوم،المسجد النبوي الشريف في المدينة، والحرم المكي في مكة والمسجد الأموي في دمشق، والمسجد الأقصى في القدس، وجامع القيروان في تونس، والمسجد الجامع في الكوفة، وجامع القرويين في مراكش، والزيتونة في تونس، والأزهر

---

(١) سير توماس ارنولد، تراث الإسلام، ٢٣٣.

بمصر. وفيما يلي فكرة عن بعض المساجد.

- الجامع الأموي، بناه الوليد بن عبدالملك، وقد استغرق بناؤه عشر سنوات (٨٦ ـ ٩٦ هـ)، ويمتاز الجامع بصحنه الواسع وأروقته البديعة، ويزدان المسجد من الداخل بصفوف الأعمدة التي تحمل السقف، وقد زين المسجد بالكتابات الكوفية الجميلة، المنقوشة بالرخام، والتي تحوي آيات من القرآن الكريم، والفسيفساء الزجاجية.
- مسجد قرطبة، وهو أشهر مساجد الأندلس جمالاً، ويشتهر بكثرة أعمدته، ولا يزال حتى الآن، وقد بني سنة ٧٨٦م[١].
- مسجد قبة الصخرة، بناه عبدالملك بن مروان تكريماً للصخرة التي عرج منها الرسول (ص) إلى السموات العلا[٢]. ويعتبر من أجمل المباني جمالاً وشكلاً في شكله الثماني، وهو من أهم ما خلفه الأمويين، وتزين جدرانه الآيات القرآنية، وتعلوه قبة كبيرة.
- مسجد الفسطاط: بناه عمرو بن العاص سنة ٢١/٦٤٢، وأقيم على أعمدة من جذوع النخيل، وسقف من الخشب، وقد تم توسيعه عدة مرات.

٣ ـ المدارس والجامعات

كان للمدارس طراز معماري خاص بها، كما هو في أغلب المدارس المعروفة، كالنظامية والمستنصرية في بغداد، والنورية في دمشق، وتشمل أبنية هذه المدارس:

- صحن فسيح مكشوف مبلط، مربع الشكل، وفي وسطه بركة، ويستعمل هذا الصحن للصلاة والاحتفالات والاجتماعات.
- بيوت الطلاب وتكون عادة حول الصحن.
- وامام الحجرات رواق مزخرف.

---

(١) سير توماس أرنولد، تراث الإسلام، ٢٣٩.

(٢) نفس المرجع، ٢٣٤.

- أواوين متقابلة للتدريس تكون مرتفعة بعلو طابقين.
- مسجد للطلاب، ويكون في الجهة القبلية من الصحن.
- دار كتب، مكتبة، وتكون عادة في قاعات كبيرة متعددة.
- مرافق عامة.
- مخازن.

٤ ـ القصور

اهتم الخلفاء ببناء القصور المنمقة بالزخارف، ومن هذه القصور المشهورة:

- قصر عمرة: بناه الوليد بن عبدالملك، زينت جدرانه برسوم متعددة، شملت صور الملوك، كسرى وقيصر والنجاشي، وصور لحيوانات الصيد.
- قصر هشام في أريحا، وينسب إلى هشام بن عبدالملك، ويمتاز بما فيه من زخارف فنية من الفسيفساء، غطت أرض القصر وحمامه.

وهناك قصر الحيرة الغربي الذي بناه هشام بن عبدالملك في منطقة تدمر، وهو أكثر القصور اتقاناً، وقصر المشتى في عمان قرب مطار الملكة علياء.

٥ ـ المنشآت الحربية

كثرت العناية بهذه المنشآت حين هددت الأخطار العالم الإسلامي، بينما لم يهتم العرب ببنائها أثناء الفتوحات الكبرى، ومن هذه المنشآت قلعة حلب التي بناها نورالدين زنكي، وقلعة الربض في عجلون التي بناها صلاح الدين الأيوبي، والقلعة التي بناها صلاح الدين في القاهرة على جبل المقطم.

٦ ـ الزخرفة

عرف المسلمون فني النحت والتصوير التي نشاهدها في قصور الأمويين. وزخرف المسلمون العمارات العامة، ولا سيما المساجد بأشكال هندسية أو برسوم النباتات، والزخارف الخطية أي بالخط الكوفي، كما حفروا على الخشب، وصنعوا منها المنابر الجميلة مثل منبر صلاح الدين الذي كان

في المسجد الأقصى بالقدس والذي حرقه اليهود سنة ١٩٦٨، وتمتاز الزخرفة بالألوان والقاشاني، والزجاج الملون، والعاج والصدف، والرخام.

ولا تقتصر غايتنا على تتبع نمو فن العمارة الإسلامية بل تتعداها إلى رسم صورة مختصرة لبعض تطوراته. وقد شهد الكاتب سير توماس أرنولد أن المسلمين سرعان ما أصبحوا أعظم البنائين إذ كانت عبقريتهم قد أنبتت آراء هندسية ذات مفاهيم فنية دقيقة، ومع أن التحريم الديني للتصوير البشري وقف حائلاً دون أي تطور في عمل نحت التماثيل، إلا أن النقوش الإسلامية تنبيء عن قدرة فنية وبراعة دقيقة وإحساس عميق بالألوان. فقد كان المعمارون العباقرة العظام كثيرين عند الإسلام، وكان نجاحهم في الفنون التي أطلقت عبقريتهم من عقالها لا مثيل له في العصور الوسطى[1].

(١) سير توماس ارنولد، تراث الإسلام ص ١٧٣.

الفصل السابع

المظهر الاقتصادي

- **بيت المال**
- **الزكاة**
- **الضرائب**
- **الأراضي**

النظام المالي

أنشأت الدّولة الإسلامية بيتاً للمال يقوم على رعاية مصالحها، وهو يشبه وزارة المالية في وقتنا الحالي

ولبيت المال موارد دورية تجبى في أوقات معينة من كل عام، مثل الزكاة والجزية والخراج، وموارد غير دورية كخمس الغنائم والركاز، وكانت الدولة تنفق هذه الموارد على المصالح العامة.

موارد بيت المال

١ ـ الزكاة

شرع الله الزكاة في الإسلام، وهي ما تؤخذ من أغنياء المسلمين ليرد على فقرائهم، وتستخدم هذه الضريبة لأمور الضمان الاجتماعي، فالزكاة إحدى مظاهر التكافل الاجتماعي والأخوة الانسانية.

لقد أوجب الإسلام ايتاء الزكاة بعد أن تتوفر في المال الشروط التالية:

أ ـ بلوغ النصاب الذي هو الحد الأدنى للغنى، ولا زكاة دون النصاب.

ب ـ أن يكون المال قابلاً للنماء، أي أن الزكاة تدفع من ربح المال المستثمر، إلا إذا اختزن، ولم يستثمر فتكون الزكاة، من رأس المال، باعتباره قابلاً للاستثمار، غير أن مالكهُ جمده ولم يستثمره.

جـ ـ أن يكون فاضلاً عن حاجة صاحبه ومن يعولهم(١).

د ـ أن يحول عليه الحول باعتبار أنه استثمر في هذه المدة.

وعلى هذا لا تكون الزكاة إلا في العَفْو أي في المال الفائض عن الحاجة، سواء كان ذلك في النقد أو الزروعات أو الحيوانات، كما نصّت الآية الكريمة: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون، قل العَفْو﴾(٢).

ولا تبطل الزكاة بقية الحقوق التي في المال، مثل بر الوالدين وصلة الرحم، وقرى الضّيف، فقال عبدالله بن عمر بن الخطاب «من أدى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النائبة، فقد برىء من الشح». ومصدر الزكاة هي الزروع، والثمار، والسوائم من غنم وبقر وإبل، والفضة والذهب وعروض التجارة، وقد بينت الشريعة الإسلامية لكل ذلك نصاباً معيناً لا تجب الزكاة فيما دونه، وقدراً معيناً لا يؤخذ فوقه. ومصرف الزكاة ما ذكر في قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل فريضة من الله، والله عليم حكيم﴾(٣). لقد جعل الإسلام أموال الزكاة في ثمانية أقسام من أقسام المجتمع، فجعل ثمناً للفقراء، وثمناً للعاملين عليها، أي الموظفين الذين يقومون بجبايتها، وثمناً للمؤلفة قلوبهم، وثمناً لتحرير العبيد أو عتقهم، وثمناً لفك ديون المدنيين، وثمناً للجهاد والأمور العسكرية، وثمناً للمنقطعين عن ديارهم وأوطانهم.

قال رسول الله (ص) لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم اطاعوا لك بذلك، فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم اطاعوا لك بذلك، فاخبرهم إن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم اطاعوا

(١) د. ناجي معروف، اصالة الحضارة العربية، ص ٣٢٠.
(٢) البقرة ٢١٩.
(٣) التوبة ٦٠.

لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم...» ومن هذه الوصية فإن الزكاة تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء.

٢ ـ الخراج

الخراج هو ضريبة الأرض على ما تخرجه من غلات، وقد وضعت على أسس ثابتة، وكانت تؤخذ بمقادير مختلفة مما يأتي:

أ ـ من الأرض التي فتحت عنوة وأصبحت ملكاً للمسلمين، ولم يقتسموها، بل أقروها بأيدي أهلها، يعملون فيها مقابل خراج يؤدونه إلى خزينة الدولة نقداً، تتراوح كميته بين درهمين وعشرة دراهم عن الجريب الواحد في السنة، ويخفض في حالة ضعف الأرض عن الدفع، فإذا أسلم من أهل العنوة سقطت عنه الجزية وبقي الخراج على أرضه.

ب ـ من الأرض التي فتحها المسلمون صلحاً، وأصبحت ملكاً لأهلها، فيكون للدولة عليها خراج معين اتفق على مقداره الطرفان، فإذ أسلم من أهل الصلح أحد رفعت الجزية عن رأسه، والخراج عن أرضه وأصبحت أرضه أرض عشر(٢).

جـ ـ العشر الذي يؤخذ على تجارة أهل الذمة، أو ممن أسلم من أرض الصلح أو ممن أسلم من بني تغلب(٣).

وهي ضريبة على الأراضي مقدارها عشر غلتها مالاً أو عيناً، وتؤخذ عن الأراضي التي أسلم أهلها.

٣ ـ الجزية

هي الضريبة التي وضعت على رؤوس أهل الذمة، وبها حقنت دماؤهم، وحرمت أموالهم فلا تغتصب ولا تصادر، وهي بمثابة الزكاة على المسلمين، وكانت مقداراً خفيفاً إذا قيس بما كان يؤديه الفرد للدولة

---

(١) ابو زيد شلبي، مرجع سابق، ص ٣١٤.
(٢) ابو زيد شلبي، مرجع سابق، ص ٣١٦.
(٣) د. ناجي معروف، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

الساسانية أو البيزنطية.

وكانت تؤخذ من الرجال القادرين لا ممن يتصدق عليهم، ولا ممن لا قدرة له على العمل، وكانوا يقدرونها حسب أحوال أهل الذمة، فقد كانت في زمن الرسول (ص) وأبي بكر ديناراً واحداً في السنة، وفي خلافة عمر على قدر الطاقة من أهل الذمة، بلا حمل عليهم ولا أضرار بفيء المسلمين، وزاد عليهم بقدر يسارهم وطاقتهم، وقد نظمت الجزية خارج الجزيرة العربية تنظيماً متقناً تبناه الخليفة عمر والخلفاء من بعده، فاتبعه عثمان وعلي والأمويون والعباسيون[1] وكانت الجزية تؤدى منجمة، وتسقط بالإسلام[2].

وتقبل الجزية من غير المسلمين أياً كانوا، إلا إذا كانوا من العرب عبدة الأوثان، أو من المرتدين فهؤلاء لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، أما غيرهم من النصارى واليهود والمجوس، وعبدة الأوثان من العجم، فيقبل منهم الإسلام أو الجزية أو السيف، والجزية بدلاً عن القتل أو القتال، فدافعها لا يقتل، وهو آمن على نفسه وماله.

٤ ـ الغنيمة

جميع ما كان المسلمون يصيبونه في حروبهم مع أعدائهم من شيء أقل أو أكثر من المتاع والحيوان والعتاد والأسلاب والسبي. وكانت هذه الغنائم تجمع عند شخص يقال له «القَبَض»، وهو الأمين الذي تودع لديه هذه الأموال في أثناء الحروب. وكان لا يجوز للفرد أن يتصرف في الغنيمة بحسب هواه قبل جمعها وتقسيمها، فقد روي أن رجلاً سأل النبي (ص) عن الغنيمة يصيبها الرجل، فقال له «إن رُميت بسهم في جنبك فاستخرجته فلست باحق به من أخيك المسلم».

والأسرى هم المقاتلون الذين يقعون في الأسر، أما السبي فهو النساء والأطفال الذين يقعون في أيدي المسلمين، ولا يجوز أن يقتلوا

(١) د. ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، ص ٣٣٠.

(٢) د. أبو زيد شلبي، مرجع سابق ص ٣١٦.

ويسترق السبي، ويقسم مع الغنائم، ويجوز قبول الفدية.

وتشمل الغنيمة السلاح والمال والماشية، وتقسم بعد انتهاء الحرب إلى خمسة أخماس، أربعة منها للمحاربين من المسلمين، الذين كانوا يجاهدون في سبيل الله، وتقسم بينهم بالسوية إلا من كانت له فرس، فله سهم ولصاحبها سهم، والواجب في الغنم تخميسه، وصرف الخمس إلى من ذكرهم الله تعالى بقوله ﴿واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾[1] أما الفيء فهو كل ما وصل من المشركين إلى المسلمين عفواً من غير قتال.

٥ ـ الأنفال

هي ما أصابه المسلمون من المشركين أو ما شذ من المشركين إلى المسلمين، ولا تكون غنائم الأنفال إلا قبل الحرب أو بعدها، والنقل من الأسلاب، والأسلاب ما كان على القتيل من ثياب وحلي وسلاح، وكذلك فرسه الذي قاتل عليها، وقد قضى الرسول (ص) أن تكون أسلاب المقتول للقاتل، ولم يخمسها، فقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال يوم حنين «من قتل قتيلاً فله سلبه»، ومعنى ذلك أن السلب يكون للقاتل عند البراز أو إذا علم أنه قتله قبل اختلاط الصفوف.

٦ ـ الركاز

وهو المال المدفون، أو المعدن كالنحاس، والحديد والذهب والفضة، وفي كل منها الخمس.

والكنوز التي يعثر عليها المسلمون، فيأخذ الخليفة منها الخمس لبيت المال أو يقسمونها كلها بين المسلمين أو يضعونها كلها في بيت المال، أو يعطونها إلى من وجدها أو يعطى منها شيء إلى من وجدها، ويجعل الباقي في بيت المال، ويروى أن عبداً وجد ركزة على عهد عمر بن الخطاب، فاعتقه وأعطاه شيئاً منها، وجعل الباقي لمال الله.

---

(١) أبو زيد شلبي، مرجع سابق، ص ٣١٥.

وكان الخمس يؤخذ أيضاً فيما يخرج من اللؤلؤ والعنبر، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه استعمل يَعْلى بن أمية على البحرين، فكتب يسأله في عنبرة وجدها رجل على الساحل، فكتب عمر إليه «إنه سَيْبٌ من سيب الله، وفيما اخرج الله جل ثناؤه من البحر الخمس»(١).

أما المال الذي لا وارث له فيكون ملكاً للدولة، وكذلك النفط، وكل كنز من الكنوز الاسلامية التي وضعت في الإسلام، ولم يعرف أصحابها.

٧ - ضريبة التجارة:

كان المسلمون يأخذون الضرائب على التجارة الخارجية، ففرضت النسب التالية:

يدفع التجار المسلمون ١/٤٠ من قيمة التجارة.

يدفع أهل الذمة ١/٢٠ من قيمة التجارة.

يدفع التجار الأجانب الذين يدخلون دار الإسلام ١/١٠ من قيمة التجارة.

نفقات الدولة

كان المال الذي يأتي من موارد الدولة المختلفة يحفظ في بيت المال، خزينة الدولة.. وكان هذا المال ينفق في مصالح المسلمين ومرافقهم العامة، ومن هذه المصالح:

- أرزاق موظفي الدولة، من خليفة، وقضاة وولاة وكتبة.
- اعطيات الجند، وما يحتاجون من وسائل الحرب، ويعتبر عمر بن الخطاب أول من نظم شؤون العطاء، ذلك أن عمر بعد أن جعل الأراضي الزراعية في البلاد المفتوحة ملكاً عاماً للدولة، قرر صرف اعطيات للجند مما تبقى من أموال الخراج والجزية بعد حسم جميع نفقات الادارة، فانشأ ديوان الجند.

---

(١) د. ناجي معروف، مرجع سابق، ٣٢٦.

- المنافع العامة: مثل حفر الآبار، وكري الأنهار وإصلاح مجاريها، وإصلاح الطرق، وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات والربط و...
- نفقة المسجونين، والأسرى من مأكل وملبس.
- العطايا والمنح للأدباء والعلماء و...

وكانت نفقات كل ولاية من أرزاق العمال، وطرق الاصلاح، وشق الطرق وإقامة الجسور، وما إلى ذلك تؤخذ من خراج الأقليم، وما يتبقى يرسل إلى المدينة، ليوزع على المسلمين[1].

كان أبو بكر يسوي بين الناس في العطاء، أما عمر فوزع العطاء بحسب سَبْقَهم في الإسلام، وبلائهم في نصرة الدين أو القرابة من رسول الله (ص)، ففرض لكل واحدة من أزواج النبي (ص) عشرة آلاف درهم، وفرض للعباس سبعة آلاف درهم، ولكل من شهد بدراً من الأنصار أربعة آلاف درهم، ولكل من هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف درهم، ولمن اسلم بعد الفتح ألفي درهم، ثم فرض للناس حسب منازلهم وقراءتهم القرآن وجهادهم[2].

ولم تكن الدولة تنفق على كل الخدمات، بل كانت الأوقاف الإسلامية وأهل الخير يساهمون في اصلاح الطرق والجسور، وأحياناً ينفقون على الجهاد في مناطق الثغور.

وحدد القرآن الكريم أبواب الصرف للفيء والغنائم قال تعالى ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين﴾.

- **طرق الجباية**: كانت الضرائب تجبى بالطرق التالية:

● الطريق المباشـر، وذلك أن يعين الخليفة صاحب الخراج لجمع الخراج

(١) ابو زيد شلبي، مرجع سابق، ص ٣١٧.

(٢) الماوردي، الاحكام السلطانية، ١٧٦.

والعشر والجزية، وكان الجباة يأخذون ٥٪ مما يجمعون[١] من الغلال.

- طريق التلزيم أو التخمين، وذلك أن يلتزم أحد الأشخاص بمال معين يقع عليه بالمزايدة، وعليه جمع الضرائب وفق نظام الدولة، وقد اتبعت هذه الطريقة في العهود الإسلامية المتأخرة.

النقد:

استعمل المسلمون النقود البيزنطية والفارسية في عهد الخلفاء الراشدين وخلافة معاوية، وقد عرّب الخليفة عبدالملك بن مروان النقد تدريجياً، فاستخدمت النقود البيزنطية بعد تعديلها بكتابة عبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» على أحد وجهي النقود، وفي عام ٧٤/٦٩٣ ضربت النقود الاسلامية ونقشت عليها الشهادتان وآية قرآنية، وكانت الدنانير تسك من الذهب في حين تستخدم الفضة في الدراهم، والنحاس في الفلوس.

وكان وزن النقود ونسبة المعادن يتم تحت اشراف الدولة، ويقوم القاضي بالتأكد من مطابقتها للمواصفات قبل أن يسمح بتداولها.

وكانت النقود تسك في مصانع خاصة، تعرف بدور السكة، وقد عين في العصر العباسي مشرفاً عاماً على دور سك النقود.

الأراضي:

بعد الفتوحات الإسلامية دخل كثير من الأراضي الزراعية في حوزة الدولة الإسلامية، فاعتبرت الأراضي المفتوحة وكذلك الماء والمعادن هي مقابل استغلال الناس لموارد الثروة الطبيعية التي هي ملك الدولة.

حاول الخليفة عمر أن يصرف العرب المسلمين عن امتلاك الأراضي الزراعية،لكي لا يعيقهم ذلك عن الأعمال الحربية. ومع ذلك فقد اغفل العرب وصية عمر في العهد الأموي، واقتنوا الأراضي والضياع، ولكن معظم المزارعين في العراق والشام وفارس بقوا من أهل الذمة فترة من الزمن.

---

(١) مصطفى ابو ضيف أحمد، مرجع سابق، ١٩٨.

استثمار الأرض: استثمرت الأرض بأساليب مختلفة منها:

- الايجار
- المزارعة أي أن تبذر الأرض مِن قبل صاحبها ثم تعهد إلى فلاح.
- المخابرة: وهي أن تبذر الأرض ويشرف عليها صاحبها، وتحصد من قبل الفلاح.
- المغارسة: وهي أن يعطي صاحب الأرض أرضه إلى فلاح يغرسها بالأشجار، ويستفيد منها خلال سنوات محددة، وينال نصف الأرض المغروسة عند انتهاء العقد.
- **المساقاة**: وهي أن يعطي المالك بستان النخيل إلى مزارع ليرويه ويسمده، ويحميه من الطيور مقابل حصة من الثمار.

أساليب الزراعة

لقيت الزراعة عناية كبيرة في مصر وبلاد الشام والعراق وغيرها، فقام

المسلمون بتنظيم الري، واستعمال الأسمدة المختلفة، ومكافحة الآفات والحشرات الزراعية، لزيادة الانتاج، وقد وجه الفقيه أبو يوسف قاضي قضاة الرشيد نَظَرَهُ إلى الري، وإلى أهمية حَفْر القنوات وتطهير الترع، ومراقبة توزيع المياه، لما في ذلك من أثر كبير في انعاش الزراعة وازدهارها. وقد استعمل المحراث الذي تجره الثيران لحرث الأرض، وأدوات الحصاد المعروفة.

تنوعت حاصلات الزراعة فشملت الحنطة والشعير والرز والتمور والسمسم والقطن والخضراوات والفواكه وقصب السكر.

وعنى العرب بتربية الحيوانات كالبقر والجاموس، واستخدموها في الحرث، كما اعتنوا بتربية الإبل والغنم والماعز والدواجن، واستغلوا روث الحيوانات لتسميد الأرض.

واهتم المسلمون بشكل خاص بتربية الخيول الأصيلة وكذلك الحمير والبغال.

وقد أدخلت التحسينات الكثيرة على الزراعة في العصور الإسلامية، ذلك أن الدولة ركزت على توفير الخدمات العامة،وحفر قنوات الري،كما خفف الإسلام من الارتباط والعبودية التي كان يرتبط بها الفلاحون في البلاد المفتوحة، ذلك أن الفلاحين كانوا قبل الاسلام أشبه بعبيد إلى الملاك والاقطاعيين من الفرس والرومان.

الفصل الثامن

مميزات الحضارة العربية الاسلامية

- **الأصالة**
- **الوحدانية**
- **الشمول**
- **التسامح**
- **التفاعل**

مميزات الحضارة العربية الاسلامية

لقد كان للحضارة العربية الإسلامية من القوة والمنعة ما جعلها تخلد إلى الأبد، وكانت غاية الإسلام في هذه الحضارة تهذيب النفس الانسانية، وتزكيتها بالسمو الخلقي، وتوثيق عرى المحبة للوصول إلى الكمال الروحي، ورفع شأن الإنسانية،والتفتح على الحياة، والعمل الدائب على الاصلاح السياسي والاجتماعي، وإنقاذ البشرية مما هي فيه من ظلمات بالأمور الروحية.

وتتميز الحضارة العربية الإسلامية بكثير من المزايا منها:

١ - الوحدانية

يؤكد الإسلام على وحدانية الله المطلقة التي لا شك فيها، فالله واحد لا شريك له، قال تعالى ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ وقال ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد فالله باق خالد لا يفنى لأنه ليس مادة، أما البشر فهم جميعاً فانون، وسيحاسبون يوماً على أعمالهم أمام الله سبحانه وتعالى.

كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ما في هذا الكون هو ملك خالص لله وحده، يتصرف فيه كيف يشاء، وهو الوحيد الذي يعلم كل ما في هذا الكون، ولا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء، قال تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[١]، وقال: ﴿لا تدركه

---

(١) البقرة، ١١٥.

الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[1].

إن هذه الآيات الكريمة توضح بصورة جلية موقف الدين الإسلامي من الله سبحانه وتعالى، فالمعاني الجليلة التي تجملها هذه الآيات الكريمة في نفس الفرد المسلم تصقل شخصيته،وتنمي أحاسيسه ووجدانه وتهذب نفسه، وترسم صورة متكاملة لمجمل حياته، وتبعده عن التناقض والضياع، وتأخذ بيده للسير في الطريق الصحيح[2].

لقد خلص الإسلام الإنسان من عبودية البشر إلى عبودية الله، فأنقذ الناس من الوثنية، فسمت أرواحهم عن الخرافات، وهداهم إلى توحيد الله وتنزيهه، ومحاربة الشرك، والإيمان بالله وحده، وعبادته، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

٢ - الشمول[3]

يمكننا أن نقول إن الشمول من طبيعة الحضارة العربية، لم تقتصر على مدنية الإسلام، وحدها بل تكونت منها، ومن مدنية العرب في الجاهلية ومن مقتبسات من حضارات الأمم في الشرق والغرب، وقد أفرغ العرب هذا المزيج في قالب خاص، تمثلت فيه النزعة العلمية، والميل إلى التحري والاستقصاء، كما يتمثل فيه الابتكار والابداع والتجديد، لا التقليد والجمود.

لم تكن الحضارة الإسلامية تتعدى ما جاء به الإسلام من الأمور الدينية الدنيوية، غير أننا نستطيع القول بأن الإسلام كان السبب الأول في وجود علوم القرآن والحديث والفقه. وابتدع المسلمون العلوم الطبية والطبيعية والرياضية والفلكية والكيميائية والفنون والآداب، وأنتج العرب المسلمون بحوثاً في العلوم الإنسانية واللسانية، تمتاز بطابعهم الخاص، وعقليتهم الفذة، وذهنيتهم الوقادة، ووجهوا جميع ذلك لخدمة الإنسان

---

(١) الأنعام، ١٠٣.

(٢) عبدالكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ٢٩.

(٣) د. ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، ١٧٤.

وإسعاد الناس.

شملت هذه الحضارة العلوم والآداب والفنون والصناعات والموسيقى، وعلم الفلك، والتشريعات التي تناولت جميع شؤون الحياة من نواحيها الدينية، والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية والقضائية، والمهنية.

عنيت الحضارة الإسلامية بحياة الإنسان، رعته طفلاً وشاباً، وكهلاً وشيخاً فانياً حتى يوسد أخيراً في حفرته باحترام. وقد وضعت القواعد لتربيته وتنشئته وتوجيهه نحو الخير ليكون عنصراً نافعاً في الحياة. وعنيت بتثقيفه وتعليمه مكارم الأخلاق في الجامعةوالمسجد والمدرسة والكُتّاب. وأشرفت على تأديبه، وعلى تصرفاته في المجتمع حتى في آداب المخاطبة، والجلوس والشراب والملبس والمسكن.

والواقع أنه لم يبق شيء في حياة الفرد أو الجماعة إلا وقد نظرت فيه الدولة الإسلامية، وشملته برعايتها، سواء كان من الناحية الدينية والسلوك والتعبد، أم من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية والعسكرية، والعلاقات الدولية، والأنظمة المالية إلى العناية بالروح والجسد والعقل، والدفاع عن النفس والعقيدة، إلى اماطة الأذى عن الطريق، والتوفيق بين الحياة الدنيا والآخرة، ليعلم الإنسان كيف يتصرف في أموره، وليعرف ما يفعل منها وما يترك، وليعمل على أساس «وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا»(١). وعلى هذا، فالحضارة الإسلامية كما يقرر الغزالي، لم تُهمل عالم الملك وما فيه من رغبات وأهواء، ولم تنس عالم الملكوت، لأن العالَمَيْن مترابطان كترابط الجسم والنفس بما بينهما من علاقة روحية.

ولم ينس المسلمون وفلاسفتهم أن يوفقوا بين الدين والأخلاق من جهة وبين العلم من جهة أخرى، وقد اعتبروا الدين والدولة في حضارتنا أمرين متلازمين لا ينفصلان عن بعضهما، لأن هذه الحضارة قد بلغت

---

(١) الشعراء، ٧٧.

المرتبة التي استطاعت فيها تحقيق التوحيد بين الدين والدولة، وتلك هي الرسالة التي استطاع العرب تحقيقها والوصول إليها. وأول من فعل ذلك هو رسول الله (ص)، بينما لم ينجح الفرس ولا الروم في تحقيقها.

إن الفكر العربي يمثل جميع من كتب، ودون بالعربية، وتكلم بها، والحضارة العربية تعتبر شاملة لهؤلاء جميعاً دون النظر إلى أعراقهم وأصولهم، لأن العربية كما يقول الرسول (ص) ليست بأب ولا بأم، إنما العربية اللسان.

والإسلام يتناول بتشريعاته وقوانينه كل شيء في الحياة[1]. وفي جميع الأوقات، ولذلك شغل الإسلام حياة الإنسان، وملأ كل فراغ فيها ما دام حياً. فقد ملأ الحياة بالفروض الدينية من صلاة وصيام وحج وزكاة وجهاد في سبيل الله، والعمل باستمرار في ضروب الأعمال النافعة لخدمة الإنسانية، كطلب العلم والصناعة والزراعة والتجارة، وما إلى ذلك بدون كلل ولا ملل حتى يلاقي ربه.

وهكذا جاءت الحضارة الإسلامية بتصور شامل، حدده الله سبحانه وتعالى وشمل الكون والإنسان والحياة والخالق، ويظهر هذا الشمول:

أ ـ بتعريف الناس بخالقهم سبحانه وتعالى، بأنه وحده الخالق الرازق، وهو المستحق بالعبادة والطاعة، وهو المتصف بصفات الكمال.

ب ـ تعريف الناس بالكون بما فيه من كائنات وجمادات، خلقها الله تعالى ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾.

جـ ـ تعريف البشر بأثر الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، بأنه إذا أراد شيئاً أوجده يقول تعالى: ﴿وإنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾.

لقد شملت الحضارة الإسلامية ما يجب اعتقاده عن الإنسان، وأن الله تعالى قد خلقه من جسم وعقل وروح، وخلقه من أطوار، من نطفة حتى

---

(١) د. كفافي وآخرون، المجتمع العربي، ١٤٤.

يصبح رجلاً، وهو مأمور بعبادة الله حيث قال: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾.

٣ ـ التسامح:

التسامح في حضارة الإسلام مبدأ أخلاقي سام، يتمثل في الآيات القرآنية الكثيرة التي تحث على العفو والصفح، وتبلغ في مجموعها أربعين آية نذكر منها:

﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾(١).

﴿وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾(٢).

ويظهر التسامح في مواقفه المشرفة من مخالفيه، وفي تساهله معهم، فقد أبقى عليهم تحت حكمه، واحترمهم، وقربهم في المناصب وعاملهم، بالحسنى في جميع البلاد التي خفقت فوقها راية الإسلام، كما يظهر التسامح بجلاء ووضوح حين لم يكره الإسلام أي فرد أو جماعة من اليهود أو النصارى أو الصائبة أو المجوس أو الوثنيين على اعتناق الدين الإسلامي في جميع العصور الإسلامية، وفي مختلف الدول التي نشأت في آسية وأفريقية وأوروبة، وحتى المشرك فقد انتصر له الإسلام وتكفل بحمايته إذا استجار بالمسلم، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾(٣).

ولا تجد في التاريخ من أكره أو أجبر على اعتناق الإسلام من اليهود أو أهل الذمة، وقد أكد ذلك كثير من المؤرخين الذين عاشوا في عصر الدولة الإسلامية أنه لم يجبر أحد على دخول الإسلام(٤)، بل العكس هو الصحيح لأن المسلمين أكرهوا على التنصر افراداً وجماعات في أسبانيا، وذلك حين عمدت الحكومات المسيحية في أوروبا إلى إبادة

---

(١) البقرة، ٢٣٧.
(٢) التغابن، ١٤.
(٣) التوبة، ٦.
(٤) سير توماس أرنولد، تراث الإسلام، ٢١٣.

المسلمين أو الإجلاء أو الاحراق وتخريب مساجدهم، وإحالتها إلى كنائس، وقد أطلقوا على مسلمي الأندلس اسم الموريسك[1]، وبذلك قضوا على جذوة الحرية التي أوقدها الإسلام، وحكموا على التسامح بالسجن، ولم يعرفوا للصفح أو العفو معنى، بينما لا يأخذ الإسلام البريء بالمذنب ولا المطيع بالعاصي.

إن طبيعة الإسلام وحبه للناس كافة، واحترامه للإنسانية التي جاء لاخراجها من الظلمات إلى النور، كل أولئك جعل الإسلام يتنزه عن مثل هذه الخطايا، ويترفع عن آثام كهذه ارتكبها أصحاب الديانات الأخرى، ولهذا أبقى العرب المسلمون لأهل الذمة محاكمهم الدينية والمذهبية، لتفصل في أحوالهم الشخصية من زواج وطلاق، ووقف وإرث وتركات.

وقد كتب كوتييه الفرنسي فصلاً عن اعراف المسلمين وعاداتهم، وعن تسامح العرب مع الأقوام التي انضوت تحت لواء الإسلام، وما نالوه من الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، ننقل إليك قوله: «لقد ثبت أن الفاتحين من العرب قد بلغوا درجة عظيمة من التسامح لم تكن متوقعة من ناس كانوا يحملون عقيدة جديدة»[2].

ويجمع المسلمون وكثير من غير المسلمين على أن الإسلام ثورة على الرذائل، ودعوة إلى نبذ الباطل، والتمسك بمكارم الأخلاق، والتعاون على البر والتقوى، ولذلك نجد آيات القرآن الكريم تقطر أخلاقاً ونبلاً وسمواً. وأن الرسول (ص) إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق.

إن مقابلة الاساءة بالعفو والاحسان من أسمى ما أمرت به الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله أنه لا يحب الظالمين﴾[3].

إن الإسلام دعوة إلى تحرير الرقيق، وعتق العبيد، وعدّ استرقاق

---

(١) د. محمد حتاملة، حركة التنصير في الأندلس، ٧٧.
(٢) د. ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، ٢٩٤.
(٣) الشورى، آية ٤٠.

الإنسان خصومة موجهة لله تعالى مباشرة، ففي حديث قدسي يقول الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، رجل باع حراً فأكل ثمنه، رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره[1]. إن الإسلام قرر القضاء على الرقيق تدريجياً، وقد وضع القوانين التي تقتلع العبودية من جذورها، فدعا إلى حرية الفرد والجماعة، وإعلان حقوق الإنسان.

الأصالة:

من أهم سمات الحضارة العربية الإسلامية هي الأصالة في مفهومها اللفظي وفي مدلولها الحضاري الواسع، فالحضارة الإسلامية هي الأصل وهي المبتدأ في مناهلها التي نهلت منها، وينابيعها التي استقت منها، فهي قامت على الأفكار التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مع الاعتماد على ما كان عند العرب من مبادىء وآراء في مختلف مجالات العلم والمعرفة، ولكنها أصيلة بالمعنى الواسع للأصالة الذي يعني التجديد والانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى، فنجدها تأخذ من الحضارات الإنسانية السابقة لها، فقد أخذت من حضارة الفرس والاغريق والرومان وغيرها، فهي التي أعطت للأصالة مفهومها العلمي، الذي سبق أن ذكرناه، وهو الأصل في النشأة والخلق، والتطلع إلى حضارات العالم الأخرى، والأخذ منها ما يتماشى وطبيعة العرب المسلمين وعقيدتهم وعاداتهم، ورفض كل ما هو دخيل لا يتفق وثقافتنا وديننا الحنيف، والتأكيد على أن التجديد في نظر الحضارة العربية الإسلامية أذا كان منفصلاً عن تطوير التراث القديم اعتبر تشوهاً لا يؤدي إلا إلى مزيد من الفصامية في النفس والعقلية الجماعية، ولنضرب لذلك مثلاً فن العمارة والبناء وتنظيم المدن في الوطن العربي، فهذه الفنون هي من صلب الثقافة والحضارة، ولكل أمة فيها تراث، فإذا نظرنا إلى التجديد فيها، فإننا نلاحظ أن العرب قد تركوا «المدينة

---

(١) أخرجه البخاري.

القديمة» بعماراتها الإسلامية العربية وأسواقها وشوارعها ومساجدها ومدارسها.. وشيدوا إلى جانبها مدناً جديدة. فإلى جانب بغداد القديمة توجد المنصورة، وإلى جانب القدس القديمة توجد القدس الجديدة، وإلى جانب قاهرة المعز توجد مصر الجديدة (هليوبوليس)، وهكذا نلاحظ أنه بدلًا من أن نطور مدينتنا العربية بتراثها التاريخي، فقد تركناها بمشكلاتها وأقمنا إلى جانبها كيانات غريبة أسميناها مدناً جديدة لا تحمل من سمات التراث أو الروح الجماعية للأمة العربية أي شيء، وجاءت كذلك صوراً مشوهة للمدن الأوروبية، أي أنها لم تكن من الأصالة في شيء.

التفاعل:

إن الحضارة الإسلامية حضارة متفاعلة، فقد تفاعلت مع حضارات الأمم السابقة التي أخذت عنها، وتمثلت ما أخذته وصبغته صبغة عربية اسلامية خالصة، وقدمته للعالم على أرقى صوره وأشكاله. وما تزال متفاعلة مع الحضارات العالمية الحاضرة، وما ينجم عن هذا التفاعل من تجدد في الأشكال الثقافية عامة، وأثبتت قدرتها على هذا التفاعل بتقبلها كل ما هو جديد عند غيرها واستيعابه وتمثله تمثلًا كاملًا، وهذا ما يضفي عليها صفة الإستمرارية والديمومة.

الفصل التاسع

أثر الحضارة العربية الاسلامية

- **مراكز انتقال الحضارة العربية الاسلامية**
  - التجارة
  - البعثات العلمية
  - الحروب الصليبية
  - صقلية
  - الأندلس
- **أثر الحضارة العربية في الحركة العلمية**

أثر الحضارة العربية الاسلامية على الحضارات الأخرى

كان التراث العربي في عصر الإسلام الذهبي من النضج والازدهار بحيث احتل مكانة الصدارة في العالم[1] في الوقت التي كانت أوروبا في حالة تخلف، وفي الوقت الذي أخذت فيه شمس الحضارة العلمية العربية تميل إلى الغروب، وبدأ مدها العالي في الانحسار، جعلت أوروبا تفيق من سباتها الطويل، فتتلقى اشراقة الحضارة العربية. لقد شعر الأوروبيون بحاجتهم إلى الاغتراف من هذا المعين الجديد، والنهم من هذا المنبع الصافي.

لقد حدث امتزاج واحتكاك بين العرب المسلمين وبين الأوروبيين على نطاق واسع في الأندلس وصقلية، فظهرت أجيال من المولدين والمستعربين تشبعوا بالثقافة العربية، وبدأوا بنقل هذه الحضارة والإنجازات العلمية العربية الإسلامية، ومن حسن حظ أوروبا أن ابتكار الطباعة أدّى إلى ازدياد حركة نقل العربية إلى أوروبا، وهكذا قام العرب بدورهم في النهضة العلمية، وقدموا لأوروبا زاد نهضتها، وكانوا كما قال نهرو بحق آباء العلم الحديث[2]، وأن بغداد تفوقت على كل العواصم الأوروبية فيما عدا عاصمة الأندلس العربية، وأنه كان لا بد من وجود ابن الهيثم، والخازن والكندي وابن سينا والخوارزمي والبيروني لكي يظهر جاليليو وكبلر، ونيوتن، وكوبرنيكس.

---

(١) توفيق الطويل، في تراثنا، ٢٠٥.

(٢) د. عبد الحليم منتصر، مرجع سابق، ٢٨٧.

لقد ساعد العلماء العرب على هذا التفوق العلمي في هذا العصر أربعة عوامل هي:

- حرية الرأي العلمي، فلم يتعرض عالم لمحنة بسبب رأيه العلمي.
- رعاية الحكام والولاة العلماء، وانفاقهم بسخاء في هذا المجال.
- استعلاء العلماء بعلمهم، وزهدهم عن الترف.
- الاستعداد الذهني مع الصبر والمثابرة حتى أن أعمال العالم منهم تعد بالعشرات والمئات في أغلب الأحيان.

وكذلك تهيأ المناخ لسطوع الحضارة العلمية في العصر العربي الإسلامي، وأتيح للأمة الإسلامية أن تقدم لأوروبا زاد نهضتها.

لقد بدأ عصر ترجمة العلوم من العربية إلى اللاتينية في القرن الثامن،ونشأت في القرن نفسه جامعات في أوروبا الهبت حماس الشباب الأوروبيين إلى الاغتراف من بحر المعرفة الذي لا ساحل له، ولفتت الأنظار إلى المؤلفات العربية، من علمية وفلسفيّة.

● مراكز انتقال الحضارة العربية الاسلامية

انتقلت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا عبر مسالك وطرق عديدة، فحولت ظلامها إلى نور، وتخلفها إلى تقدم وحضارة، ومن هذه الطرق:

أ ـ التجارة:

يعتبر التبادل التجاري بين أوروبا والمشرق العربي عاملاً هاماً في نقل الحضارة الإسلامية، وذلك أن الحضارة ازدهرت في مصر منذ مجيء الفاطميين، فأقاموا جامعة الأزهر، ونشروا العلوم والفنون، واستقدموا العلماء من مختلف المناطق، فأصبحت القاهرة مركز الحضارة في الشرق

وبخاصة بعد أن احتل المغول بغداد سنة ١٢٥٨ وطمسوا معالم الحضارة فيها، فهجرها العلماء إلى بلاد الشام ومصر.

وكانت مصر تسيطر على مسالك التجارة آنذاك بين الشرق والغرب، فكان الأوروبيون يفدون إلى مصر لشراء السلع الشرقية، فساهم هذا الاحتكاك بين الشرق العربي في نقل الحضارة العربية الإسلامية، ولا سيما بعد أن ازدادت هذه العلاقات التجارية بين مصر وسوريا والمدن الإيطالية كالبندقية وفلورنسا، ونابولي وجنوا. لقد أضحت حياة هذه المدن تتوقف على تجارتها مع سلاطين مصر، وأدى ذلك إلى ثراء التجار ونقل التراث العربي، واتجه بعض الأوروبيين إلى تحصيل العلم والمعرفة العربية.

وهكذا أخذت العلوم والفنون الإسلامية تتسرب إلى أوروبا، فنقل الغربيون صناعة الورق والحرير والسكر، وتعلموا إنشاء المستشفيات والجامعات، إذ أن جامعة كمبردج هي طبق الأصل لمظهر الجامعة الأزهرية في مصر، كما نقلوا الأقواس المعمارية، والعلوم الأخرى.

ب - البعثات العلمية:

كثرت البعثات والرحلات العلمية من أوروبا إلى الأندلس، وبلاد الشام وصقلية للاطلاع على العلوم المختلفة، وكان البابا سلفستر[1] الثاني أحد الأوروبيين الذين نهلوا من علم الرياضيات في معاهد الأندلس سنة ١٠٠٣م، كما رحل أرنالدوس فيلانوس فانوس إلى أسبانيا لترجمة العلوم العربية، وغيرهم كثير ممن تعلم في معاهد المسلمين في الأندلس والشام وغيرها.

جـ - الحروب الصليبية:

غزا الصليبيون سوريا ومصر في أواخر القرن الحادي عشر واستطاعوا تكوين أمارات لهم في بلاد الشام، منها أمارة أنطاكية

---

(١) د. توفيق الطويل، مرجع سابق، ص ٢١٧.

وطرابلس والرها ومملكة بيت المقدس، واستقروا في المنطقة حتى عام ١٢٩٠ حين تمكن المماليك من القضاء عليهم نهائياً وتصفية آخر جيوبهم.

لقد كان اتصال الأوروبيين بالشرق في الحرب الصليبية أن ثارت دهشتهم، ووقفوا مشدوهين أمام عظمة الحضارة العربية الإسلامية وتقدمها، ونضج أصحابها، ومع أن الصليبيين كان همهم الانتصار والاستحواذ على الأراضي الإسلامية، ومع أنهم لم يفكروا في الاستفادة من ازدهار الحضارة الإسلامية، فلم يفكروا حتى في إقامة مدارس يعلمون فيها أبناءهم برغم الأمد الطويل الذي استغرقته حروبهم، إلا أنهم تعلموا الشيء الكثير من حضارة المسلمين، ومع أنهم كانوا يدهشون لبراعة الأطباء العرب المسلمين، لكنهم لم يفيدوا من ازدهار الطب العربي(١) إلا بعد مرور أجيال على استقرارهم في المنطقة.

ظل الاحتكاك بين الحضارة الغربية المتخلفة والحضارة الإسلامية المزدهرة في الشرق حوالي القرنين، فتعلم الصليبيون عن طريق الرواية الشفوية الكثير من العلوم.

لقد استحوذ الصليبيون على كثير من كتب المكتبات العربية فتعلموا اقتناء الكتب، وقرأوا القصص العربية منها كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة، وشعر الموشحات.

وتعلم الأوروبيون العادات والتقاليد وبعض القيم الإسلامية بل إنهم أخذوا عنهم أسلوب اللباس والأكل، وأخذت كثير من مفردات العربية تتسرب إلى اللغات الأوروبية، وما زال قسماً منها حتى الآن(٢) مثل بازار Bazaar ، وكلمات أخرى Sofa lute ، مستخدمة في أوروبة.

وأخذ الأوروبيون عن العرب رسم الخرائط على أساس سليم للمعلومات الجغرافية، وولد في نفوسهم حب الاستطلاع، وروح المغامرة

---

(١) توفيق الطويل، في تراثنا، ص ١٥٢.

(٢) سير لتوماس ارنولد، تراث العرب، ١٠١.

وتحمل المشاق كما نقلوا كثيراً من العلوم ولا سيما العلوم الرياضية والطبية، وليس أدل على تأخر الطب في أوروبا من إرسال صلاح الدين طبيبه الخاص لمعالجة عدوه قائد الحملة الصليبية الثالثة، ريتشارد قلب الأسد.

ولعل أبرز ما أخذوه عن المسلمين في الشرق فن العمارة، فأخذوا يبنون بيوتهم بالأسلوب الشرقي، فكانت تبنى على النمط العربي وتزخرف بأسلوب اسلامي، وبأثاث عربي، وقد انتقلت هذه الأمور إلى معظم مدن أوروبا كالبندقية وغيرها.

كما أن بناء القلاع الأوروبية كان يتم على الطراز العربي الإسلامي، فعرفوا تشييد الحيطان المزدوجة للقلاع، والبروج الاضافية بين الجدارين، والمقرنصات والأقواس العربية.

وأخذ الأوروبيون كثيراً من طرق الزراعة والصناعة العربية، فعرفوا نباتات السمسم، والمشمش، والثوم، والأرز، والسكر والتوابل، وصناعة المرايا، والملابس القطنية والموسلين (من الموصل)[١]، والمسكوكات.

ونقل الأوروبيون أسلوب بناء المستشفيات من الشرق، وقد أسس البابا أنوسنت الثالث في روما في أوائل القرن الثالث عشر مستشفى القديس سبيرتو تقليداً للمستشفيات في سوريا، بل وعلى طراز المستشفى النوري «نسبة إلى نور الدين زنكي» في دمشق، لأنه كان مثاراً لاعجاب الأوروبيين[٢].

د ـ صقلية:

حاول المسلمون فتح صقلية عدة مرات، وأخيراً تمكن الأغالبة من فتح الجزيرة ما بين ٨٣٤ ـ ٨٦٩ م، وبقي حكم المسلمين فيها حوالي القرنين إلى أن تمكن الكونت روجر تنكرد النورمندي من فتح الجزيرة سنة ١٠٩١.

---

(١) توماس ارنولد، تراث العرب، ١٠١.

(٢) نفس المرجع، تراث العرب، ٥٠٠.

وقد ازدهرت الحضارة الإسلامية في الجزيرة. فقد ذكر ابن حوقل لدى زيارته بالرمو سنة ٩٦٠ «تضم المدينة حوالي ٣٠٠ جامعاً، وكان عدد المصلين في أحدها ٧٠٠٠ شخصاً، كما بلغ عدد المعلمين في مدارسها ٣٠٠ معلماً»، واستمر ازدهار الحضارة الإسلامية في الجزيرة بعد سقوطها بيد النورمنديين، فكانت التأثيرات الحضارية تأتي من الشرق، وبعد أن استقر المسلمون في الجزيرة انصرفوا إلى النواحي الحضارية.

اهتم الملك روجر الأول سنة ١١٠١ بالعلوم العربية، فقد استقطب الأطباء والفلاسفة والعلماء والمنجمين العرب، بل إنه احتفظ بموظفين مسلمين في قصره، فكان بلاطه أشبه ببلاط شرقي، واستمر المسلمون بزراعة الأرض، وأدخلوا زراعة قصب السكر والكتان والزيتون، كما كانت تجارة البلاد بيدهم، فاستوردوا الورق، وكان أن عرف الأوروبيون الورق سنة ١١٠٩.

تابع روجر الثاني سياسة سلفه في الأخذ عن الحضارة الاسلامية، فضرب النقود، ووضع عليها التاريخ بالحروف العربية، بل كان يلبس لباس المسلمين، وطرز على ثيابه الكتابات العربية، حتى أن النساء المسيحيات كن يلبسن لباس المسلمين. وقد عاش في بلاط روجر الثاني الجغرافي المشهور أبو عبد الله محمد الادريسي الذي ولد في سبته سنة ١١٠٠، ثم انتقل إلى بالرمو وعاش هناك. وقد وضع كتابة «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» فجمع فيه معلومات المسعودي وبطليموس ومن سبقه، ووضح معلوماته بواحد وسبعين خريطة، وقد طبع الكتاب في روما سنة ١٥٩٢، وصنع الادريسي خريطة كروية للأرض من الفضة، قدمها للملك النورمندي. وأشاد النورمنديون مبانٍ على الطراز الإسلامي، منها قصر الملك في بالرمو، وكنيسة كابيلا بيلاًتينا Cappella Palatina ، وقد زين سقفها بالكتابات العربية، وكذلك بالفسيفساء على الطريقة العربية.

لقد اعتاد الملوك النورمنديون أن يتوجوا أنفسهم بعبارة لا إله إلا الله، وأن يلبسوا العباءة العربية.

تأثر فردريك الثاني (١٢١٥ ـ ١٢٥٠) حاكم صقلية، بالحضارة الإسلامية، وعندما أصبح امبراطور الدولة الرومانية المقدسة سنة ١٢٢٠ جمع في بلاطه الفلاسفة، ورجال الفن من سورية وبغداد، وتبادل الهدايا مع ملوك الأيوبيين الكامل والاشرف. كما اهتم فردريك الثاني بالبحث والعلم، فازدهر في عهده الشعر والأدب والموسيقى في إيطاليا بتأثير من الحضارة العربية، بل أنه أسس جامعة نابولي سنة ١٢٢٤ لنقل العلوم الإسلامية إلى اللاتينية، وقد نشطت حركة ترجمة الكتب العربية، ولا سيما مؤلفات ابن رشد، وكتب الطب للرازي، وكتب الرياضيات والفلك، وكتاب الضوء Optica ، وأرسلت نسخ من هذه الترجمات إلى جامعتي باريس وبولونيا.

لقد نقل النورمنديون عناصر الثقافة الإسلامية إلى إيطاليا وأوروبا، ومنذ القرن العاشر ظهرت آثار العلوم العربية في حياة أوروبا، أثر تسرب الفن والأدب والعلوم الإسلامية إلى مدن ودول أوروبا، فاستخدم الأوروبيون أسلوب بناء أبراج الكنائس بعد أن أخذوه عن المآذن في مصر والشام، كما كان معمل الحياكة الذي أسسه المسلمون في باليرمو مصدر ملابس ملوك أوروبا، وكانت هذه الملابس تزدان بالكتابات العربية، وفي القرن الثالث عشر انتشرت صناعة الحرير على النمط العربي في مدن ايطاليا، وأصبح الطلب على هذه المنسوجات عظيماً، بل أصبحت هذه الملابس هي موضة العصر في أوروبا.

وفي القرن الخامس عشر تعلم الأوروبيون ولا سيما البندقية أسلوب تجليد الكتب عن المسلمين، وتعلموا زخرفة جلود الكتب.

وهكذا كانت صقلية ذات مكانة هامة في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

هـ ـ الأندلس:

تطلق بلاد الأندلس على المناطق التي حكمها المسلمون من شبه جزيرة ايبريا (أسبانيا) ما بين سنة ٧١١ ـ ١٤٩٢ حين سقطت غرناطة آخر مملكة عربية اسلامية في يد الأسبان، وبعد أن استقرت فيها

الأوضاع، ازدهرت الحياة العقلية، وشاع النور في حواضر الإسلام الأندلسية، ولا سيما في قرطبة واشبيلية وغرناطة وطليطلة في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تغط في سبات عميق من الجهالة والتخلف، فاسترعى النور الاسلامي نظرها، واتجهت الى التلمذة على يد علمائها.

لقد كان الأوروبيون يذهبون إلى الأندلس لينهلوا من علومها، حتى أن سكان أسبانيا تشربوا الحضارة العربية الإسلامية بعاداتها وتقاليدها، بل إنهم تعلموا العربية. وهجر قسم كبير لغتهم، مما اضطر الاساقفة إلى ترجمة الانجيل إلى العربية، كما قام يهود الأندلس بأخذ لغة العرب، وملابسهم واندرجوا في غمارهم(١).

وقام البابا سلفستر الثاني سنة ١٠٠٣ م برحلة للأندلس فتأثر بالعلم العربي، تأثراً بالغ العمق، ولا سيما في الرياضيات، ولعله أول مسيحي قام بتعريف أوروبا بالأرقام العربية وقتذاك.

لقد ازدهرت الحياة العقلية في الأندلس في مختلف العلوم، فاشتهر أبو اسحق ابراهيم النقاش ت ١٠١٧ بالرياضيات والفلك، وأبو القاسم الزهراوي ت ١٠١٣ في الطب، فكان أشهر جراحي العصور الوسطى في العالم، وألف دائرة معارف طبية تحت عنوان «التصريف لمن عجز عن التأليف» تناول فيها الطب والصيدلة والجراحة، وشملت أدوات الجراحة من علاج الكي وأمراض العيون والفتق والتوليد. واشتهر ابن حزم القرطبي ت ١٠٦٤ في تفكيره الفلسفي صاحب «الفضل في الملل والخل» وكان ظاهرياً عنيفاً متزمتاً، وتناول ابن صاعد الأندلسي التاريخ في كتابه طبقات الأمم، وابن طفيل ت ١٠٨٥، وابن رشد، وابن أبو العلاء زهر ت ١١٦٢ والصيدلي أبو جعفر الغافقي، وغيرهم كثير.

وعندما تضعضع الحكم العربي الإسلامي في الأندلس، وبدأت هجمات الأسبان لطرد المسلمين، تأخر تقدم العلم قليلاً إلى أن استقرت الأوضاع الإسلامية بدعم المرابطين للأندلس، وبدأ النشاط الحضاري

---

(١) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ٢٧٨.

من جديد، إلا أن الأسبان استطاعوا احتلال العديد من الحواضر الاسلامية، فاحتلوا قرطبة سنة ١٠٣١ وطليطلة سنة ١٠٨٥، وعلى أثر ذلك قامت حركة تنصير المسلمين ولا سيما بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢[(١)].

لم يتردد ملوك أسبانيا في الاغتراف من الحضارة الإسلامية، فاستعانوا بالعلماء المسلمين لاصلاح أحوال البلاد الثقافية والفنية وحتى الادارية، كما نظم الملوك حركة الترجمة من العربية إلى الأسبانية، فكانت هذه الحركة نهاية العصور المظلمة في أوروبا، وتعتبر مدينة طليطلة بقيادة الفونس السادس أكبر مراكز الترجمة من العربية إلى الأوروبية، واستمرت هذه الحركة حتى أواخر القرن الرابع عشر جذبت خلالها الأساتذة من أنحاء أوروبا، فأثرت فلسفة ابن رشد على الغرب، وولدت حركات ثورية على تعاليم الكنيسة. وأنشأ الفونس العاشر الحكيم «كلية مرسيه» لمحمد الريقوطي ليحاضر في الكلية العلوم والفلسفة، كما أنشأ كلية أخرى في أشبيلية، كان معظم مدرسيها من العرب المسلمين.

لقد استقدم مطران طليطلة المونسيير ريموند ت ١١٥١ العلماء إلى مدينته[(٢)]، وأنشأ فيها ديوان لترجمة التراث العلمي الإسلامي، وأدخل دراسة الترجمات في مناهج المدارس المسيحية، وترجمت مؤلفات الفارابي وابن سينا والغزالي والخوارزمي على يد دمنجو جونصاليه.

وإلى جانب طليطلة احتلت قطلونيا مكانة عظيمة، ازدهرت فيها نهضة علمية مرموقة، اعتمدت على حركة الترجمة ونقل المعارف الإسلامية، وكان من بين المترجمين يوحنا الاشبيلي وجيرارد الكريموني ت ١١٨٧ الذي ترجم الكتب العربية إلى اللاتينية في الفلسفة والمنطق والرياضة والميكانيكا والطب.

وهكذا تسلسل العلم الإسلامي إلى أوروبا، وكان هذا اللقاح العربي الإسلامي الذي قدمه المترجمون بدأ من القرن الثامن وحتى

---

(١) د. محمد حتاملة، حركة التنصير في الأندلس، ٦٧.

(٢) توفيق الطويل، في تراثنا العربي الإسلامي، ٧٤.

القرن الثالث عشر أخصاباً لثقافة أوروبا الضحلة المتخلفة، وكانت حركة الترجمة أعمق تغلغلاً، وأشد قوة، ذلك أن الأندلس أنشأت حضارة زاهية لا تقل عن حضارة أخوانهم في المشرق العربي. فكانت السراج المنير وسط الظلمة الداكنة، وقد ساعد في انتقال العلوم الإسلامية التسامح الديني الذي عرف به خلفاء الأندلس، فامتد أثره إلى العلماء المسيحيين الذين أقبلوا من أنحاء أوروبا لتلقي العلوم في حواضر الإسلام الأندلسية.

لقد اشتهر كثير من المترجمين الأوروبيين في نقل حضارة المسلمين الأندلسية، ولا سيما:

- ليوناردو بيزانو Pisano وهو مجدد لعلوم الرياضيات.
- أرنالدوس فيلانو فانوس سنة ١١٣١، رحل إلى أسبانيا وإيطاليا وفرنسا في رحلات طويلة، وترجم من العربية كتب جالينوس، والكندي وأبي علاء بن زهر.
- ريموند لول Lull سنة ١٣١٥، كان مبشراً بالمسيحية بين المسلمين، ومشبعاً بالعلم العربي، رغم محاربته للعقيدة الإسلامية، وعلى علم بفلسفة ابن رشد، وكان لترجمة فلسفة ابن العربي أن ألهمت دانتي تطوير الشؤون الأخروية في الكوميديا الالهية.

وما زالت كثير من الكلمات العربية مستخدمة في الأسبانية مثل طاحونة Tahona ، فندق Fonda ، السكر Azucar وقد تعلوك الدهشة أن تعرف أن الناطقين بالأسبانية ما زالوا يستعملون العبارة العربية «إنشاء الله».

أثر الحضارة العربية الاسلامية في الحركة العلمية

للحضارة العربية أثر كبير في بناء الحضارة الحديثة التي تشهدها اليوم، ودليلنا على ذلك ما ترجم من عديد الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية في العلوم والآداب والفنون. وهذه المؤلفات تملأ المكتبات الأوروبية منذ زمن بعيد، وكذلك المصطلحات الفنية العربية التي ما زالت تنطق بأصلها العربي في اللغات العالمية.

لقد أسهمت الحضارة العربية بنصيب وافر في نهضة أوروبا وتقدمها، وشاركت مشاركة فاعلة في تقديم الحضارة الإنسانية، ولا زالت أثارها حتى الآن ظاهرة وبشكل واضح في الحضارة الحديثة ولا سيما في المعارف التالية:

- **الفلك:**

أخذ الأوروبيون الكثير عن المؤلفات العربية الفلكية، فقد ترجم العالم الإنكليزي ادلارد أف بات الذي زار أسبانية وصقلية وبلاد الشام الجداول الفلكية التي وضعها المجريطي عن زيجات الخوارزمي إلى اللاتينية سنة ١٢٢٦. وترجم خوان الاشبيلي كتب الفرغاني والبلخي.

وقد استخدم الأوروبيون كثيراً من المصطلحات والألفاظ الفلكية، وما زالت تنطق بأصلها العربي ومن ذلك:

العقرب Acrab .

الذنب Deneb .

النصير Nasir .
الجدي Algedi .
الطائر Atair .
السمت Azemuth .

وفي علم طبقات الأرض يعتبر ما كتبه الرئيس ابن سينا في كيفية تكوين الجبال والأحجار والمواد المعدنية، وما إلى ذلك، من أهم المراجع التي اعتمدت عليها أوروبا، في أبان نهضتها العلمية.

الجغرافية والرحلات:

ما زالت بعض المؤلفات العربية المصدر الرئيسي للمعلومات الجغرافية عن كثير من جهات العالم، ومن هذه المراجع وصف الهند للبيروني، ورحلة ابن بطوطة، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ومروج الذهب للمسعودي...

كان للعرب فضل كبير في ميدان الكشف الجغرافي، فهم الذين اكتشفوا أسرار الملاحة في المحيط الهندي، وجزر الهند الشرقية وشواطيء الصين، وكان وصول البرتغاليين إلى الهند يعتمد على ما قدمه ابن ماجد من معلومات للغرب، بل إنه أرشد فاسكو دي غاما إلى طريق الهند.

ويعتقد أن العرب قاموا بمحاولات عبور المحيط الأطلسي إلى أمريكا، ولا شك في أن عرب الأندلس كان لهم فضل إرشاد البرتغاليين لكشف رأس الرجاء الصالح، كما أن البوصلة التي عرفها العرب، انتقل استخدامها إلى الأوروبيين، واستفادوا منها في قيادة السفن عبر البحار أثناء الاكتشافات الجغرافية.

ولا بد أن نشير إلى أن فن الملاحة العربي قد أثر على أوروبا تأثيراً بالغاً، وقد وضح في اقتباس الأوروبيين المصطلحات البحرية التي ما زال يستخدم بعضها في الغرب حتى الآن، منها أمير البحر Admiral دار الصناعة Arsenal حبل Cable.

الأدب:

تأثر الأدب الأوروبي بالأدب العربي تأثراً كبيراً لا سيما الأدب الأسباني، فكانت كليلة ودمنة أول محاولة في القصة الأسسبانية. وترجمت إلى اللاتينية، كما ترجمت قصص السندباد البحري.

وقد ظهر أثر الأدب العربي واضحاً عند الأديب الأسباني سيزفانتيس مؤلف كتاب دون كيشوت، الذي انتقد نظام الفروسية بسخرية الذي كان سائداً في أوروبا.

وظهر أثر كليلة ودمنة عند الأديب الايطالي بوكاشيو في كتاب دي كاميرون، وأثر الشعر الأندلسي وخاصة الموشح في شعراء جنوبي فرنسة وأسبانية فنظموا قصائدهم على غراره.

الفلسفة:

كان تأثير الفلسفة العربية واضحاً في الفلسفة الأوروبية، فقد ترجمت كتب الغزالي إلى اللاتينية سواء في الالهيات أم في المنطق، وكان أثر ابن رشد هائلاً، فقد بقيت شروحه لفلسفة أرسطو تدرس في أوروبا مدة طويلة.

واعتقد بعض الأوروبيين أن الغزالي قدم الفلسفة على الأديان، فصار رمز الحركة الفكرية والثورات على الكنيسة في أوروبا، ولكنه كان في الواقع يريد التوفيق بين الفلسفة والدين.

الرياضيات:

ترجم ادلارد أف بات كتاب الحساب للخوارزمي، في حين ترجم الايطالي جيراردو دي كريمونا كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي وظل هذا الكتاب المرجع الرئيسي في الرياضيات بجامعات أوروبا حتى القرن السادس عشر.

ولا زالت بعض المصطلحات الرياضية تحمل اللفظ العربي حتى اليوم مثل الجبر Algebra ، وصفر Zero .

الكيمياء:

استفاد الأوروبيون من نظريات العرب وخبراتهم وتجاربهم في الكيمياء، ذلك أن العرب هم أول من وضع الأسس العلمية للكيمياء المبنية على التجارب.

كان لجابر بن حيان اليد الطولى في نشأة علم الكيمياء، وقد ترجم الأوروبيون كل كتب الكيمياء العربية إلى اللاتينية. وجابر بن حيان هو الذي نظم كثيراً من طرق البحث والتحليل وركب عدداً من المواد الكيماوية، وكانت أبحاثه هي المراجع الأولى في أوروبا حتى القرن الثامن عشر(١).

واقتبس الأوروبيون كثيراً من المصطلحات الكيماوية العربية منها:

الكافور Camphor .

القلاي Alkali .

الأنبيق Alempic .

الكحول Alchol .

التوتية Tutry .

الأتمد Antimany .

الفيزياء:

نقل الأوروبيون عن العرب كثيراً من بحوث الطبيعية، فقد نقل روجر بيكون إلى الغرب الأوروبي دراسات ابن الهيثم، ونظرياته في علم الضوء والبصريات، إذ قام العالم العربي بتجارب على المرايا الكروية والمثلثة كانت أساساً لاختراع نظارات العيون، وترجم العالم الأوروبي كبلر أبحاث ابن الهيثم الفلكية، وترجم جيراردو دي كريمونا كتاب المناظر لابن الهيثم، وأصبح هذا الكتاب المصدر الرئيسي في علم الضوء عند الأوروبيين عدة قرون.

---

(١) أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ص ٣٧٦.

كما أن روجر بيكون اعتمد على رسالة الكندي في دراسة البصريات، وقال أن شكل الجسم المرئي هو الذي ينفذ إلى العين ماراً خلال الفتحة الشفافة (العدسة)، وقد اعترف باتره بيكون ودافنشي وكيبلر.

الطب:

تأثرت الدراسات الطبيـة الأوروبية إلى حد بعيد بالدراسات العربية، فقد كان كتاب الحاوي للرازي المرجع الوحيد الذي اعترف فيه في جامعات أوروبا(١) وقد ترجم جيراردو دي كريمونا كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي، والجزء الأخير خاص بالجراحة الطبية، وكتاب القانون في الطب لابن سينا.

وترجم الطبيب الصقلي أبو فرج اليهودي كتاب «الحاوي في علم التداوي للرازي البغدادي.

وظل كتاب القانون في الطب دليلاً لطلاب الطب والمشتغلين به في أوروبا حتى القرن الخامس عشر، وأعيد طبعه عشرين مرة في القرن السادس عشر. كما بقي كتاب الزهراوي في الجراحة يستخدم بجامعة أكسفورد حتى القرن الثامن عشر.

وأخذ الأوروبيون الكثير من وصفات كتب ابن البيطار في الصيدلة.

واستخدم الأوروبيون كثيراً من التعابير العربية مثل الشراب Syrup .

الموسيقى:

ترجم الأوروبيون الكثير من الرسائل العربية في الموسيقى، كرسائل الفارابي، وابن سينا، ولعل هذا يوضح لنا ظهور النوطة المحدودة الزمن، فقد كانت النوطة معروفة منذ القرن الثامن الميلادي عند العرب، وقد اقتبسها الأوروبيون من ترجمات الفارابي.

---

(١) أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ٢٧٥.

استعمل الأوروبيون بعض الآلات الموسيقية العربية. كما أن استعمال النوطة العربية سهلت على الأوروبيون تطوير الموسيقى، وما زالت بعض الأسماء العربية في الآلات الموسيقية تستخدم في أوروبامثل العود Lude ، القيثارة Guitar .

لقد اسهمت الحضارة الإسلامية في وضع أساس الحضارات الحديثة بنصيب موفور، إذ فضلها عليها واضح غير منكور، فقد أحدثت الحضارة الإسلامية ثورة علمية، يقول الدكتور سارطوف أن العرب كانوا أعظم المعلمين في العالم، وأنهم زادوا على العلوم التي أخذوها، وأنهم لم يكتفوا بذلك، بل أوصلوها إلى درجة جديرة بالاعتبار من حيث النمو والازدهار.

ويقول السيد أمير علي. أن الكنوز الأدبية العظيمة التي أوجدها العرب المسلمون، ونتاج نبوغهم العلمي، واختراعاتهم الثمينة تنهض دليلاً على نشاطهم الفكري، وتؤيد الرأي القائل بأن العرب هم أساتذتنا في كل شيء، إذ أنهم زودونا بمواد جليلة القيمة في تاريخ العصور الوسطى، وتركوا لنا فناً معمارياً آية في الروعة والجمال، واكتشافات هامة في الفنون والصناعات(١).

---

(١) السيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ٣٩٥.

المراجع

- د. عبدالمنعم ماجد — **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**،بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٥.
- غوستاف لوبون — **حضارة العرب**، القاهرة، ١٩٤٨.
- د. صالح أبو دياء — **دراسات في التاريخ الإسلامي**، عمان ١٩٨٥.
- د. أبو زيد شلبي — **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٤.
- سير توماس أرنولد — **تراث العرب**، ترجمة جرجيس فتح الله، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢.
- د. توفيق الطويل — **في تراثنا العربي الإسلامي**، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٥.
- د أحمد فؤاد باشا — **التراث العلمي للحضارة**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣.
- د. عبد الحليم منتصر — **تاريخ العلم ودور العلماء في تقدمه**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠.
- د. ناجي معروف — **أصالة الحضارة العربية**، بيروت، دار صادر، ١٩٧٥.
- د.محمد عبد الستار عثمان — **المدينة الإسلامية**، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٨.

- د. محمد عبدالسلام كفافي **المجتمع العربي**، بيروت، النهضة العربية، ١٩٦٧.
- د. محمود حمد زقزوق **الاستشراق**، كتاب الأمة، ١٤٠٤.
- السيد أمير علي **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي**.
- الماوردي **الأحكام السلطانية**.
- محمد حتاملة **حركة التنصير في الأندلس**.
- د. مصطفى أبو ضيف أحمد **دراسات في تاريخ العرب**.
- د. عبد العزيز سالم **تاريخ العرب قبل الإسلام**.
- د. كمال اليازجي **معالم الفكر العربي في العصر الوسيط**.
- عبدالرحمن بن خلدون **المقدمة**.
- جورجي زيدان **تاريخ التمدن الإسلامي**.